رواية
السر الأسود
زايد نادية سلسبيل
كتوباتي
kotobati

السر الأسود

رواية

بقلم:

زايد نادية سلسبيل

الكتاب: السر الأسود.

النوع: رواية.

تأليف: زايد نادية سلسبيل.

التنسيق الداخلي وتصميم الغلاف: مكتبة كُتوباتي.

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي.

www.kotobati.com

kotobati@gmail.com

إصدار 2021.

جميع الحقوق محفوظة.

الفهرس:

إهداء: 5
الفصل الأول: 6
الفصل الثاني: 14
الفصل الثالث: 25
الفصل الرابع: 35
الفصل الخامس: 48
الفصل السادس: 66
الفصل السابع: 77
الفصل الثامن: 98
الفصل التاسع: 118

الأسود ليس لون الحزن إنه كاتم الدمار وسط هدوء الظلام

" زايد نادية سلسبيل"

إهداء:

إلى من دعمني حتى وصولي لمبتغاي.

إلى نبع الحنان و سندي في الحياة.

إلى كل عشاق اللون الأسود.

إلى كل من راقته كلماتي.

الفصل الأول:

وسط الغابة الموحشة مع صوت الرعد الذي يرعب القلوب و الأوراق المتناثرة في كل مكان، ظلام الليل يشهد على الأحزان، و تلك السحب التي تسيل منها شلالات متلألئة بلمعة البرق، ندى المطر الألماسي المختلط بالدموع الفضية يحكي عن غدر الأيام، لكنه القدر أيا كان.. تسابق الزمن من أجل المحافظة على ذلك الضيف الذي يسكن جوفها ، و كتفها ينطق دما ، وسط خيوط رماد خلفه لهيب عينيها الذي ذاقته وسط ظلم الأسود لها ، هذا الاخير عشقها و عشقته، و لا أعرف إن كانت إرتدته أو هو من إرتداها، لا يظهر من وجهها إلا تلك اللؤلؤتين بحركتهما الحادة قادرة على الإنتقام لها ، قطرات قوتها قد فاضت منها فتوقفت ترتمي على شجرة ضخمة تلتقط أنفاسها و تستجمع أشلاءها التي أجهدتها عَبَرات موطنها المكسور ثم أكملت طريقها تركض نحو مصيرها المجهول ، حينها

لمحت نورا كأنه نور الأمل بالنسبة لها ...كان كوخا بل في عينيها جنة ، إتجهت إليه مباشرة طبول لا ترضى التوقف داخلها و الضباب يفصل بين عالميها ، دقت الباب، ثم أغمي عليها .

- أين أنا ؟! تتسأل و الحيرة قد رسمت في ملامحها

- ترد عليها امرأة عجوز مسنة يظهر عليها علامات الكبر ، فالتجاعيد تملأ وجهها و شعرها يكاد يبيض بأكمله ، ترتدي حجابا طويل يغطي ساقيها و غطاء رأس يكاد يظهر منه شعرها قائلة :" لا تخافي عزيزتي أنت بأمان ،هل يمكنك مساعدتي لكي انزع عمامتك و قميصك و أفحص إصابتك "

- تقول بتوتر : و لكن هناك ...

- تقاطعها العجوز بحزم : " رجال يلاحقونك أليس كذلك؟ "

- نعم و كيف عرفتي ؟

- العجوز : عندما سمعت الباب يدق فتحت و ما كنت سأفعل، وجدتك نائمة وسط بحيرة حمراء ، و عندما تقدمت لأتكد إن كنت حية سمعت رجلا يقولا من مكان ليس قريب جدا : "إتبعوا أثار الدماء ، قبل أن تخفيها الأمطار، يجب ان نجدها، لن تفلت

هذه المرة " ، أدخلتك البيت و أخفيتك في الحمام و بسرعة مسحت أثار الدماء من أرضية المنزل و خرجت لأخفي تلك البحيرة لكن وجدت الأمطار قد قامت بالواجب والحمد لله ، رجعت إلى البيت و كأنه لم يحدث شيء.. كنت أنتظر قدومهم ، و كما توقعت .. بعد بضعة دقائق دق الباب و إذ به شخص يسأل عن بنت مصابة ، قال أنه صديقك و أن هناك عصابة تتبعكم قد أصابتك ، لكني لم ارتح له فتلك الظلال خلفه لا توحي بالإطمئنان و كذلك المسدس الذي يخفيه ، قلت له:" أنا عجوز كبيرة، أعيش لوحدي، لم أر أحدا منذ مدة و خاصة من سيأتي لي في هذه الأمطار، و إن أردت التأكد بنفسك فتفضل يا ولدي، و لحسن الحظ صدقني وقف على عتبة الباب و القى نظرة ثم ذهب ، بعد ذلك نقلتك أنا إلى هذا السرير أنتظر أن تستيقظي "

- شكرا لك

- العجوز : لا شكر على واجب و الآن أريد منك أن تساعديني لكي أنزع عمامتك و قميصك و أفحص إصابتك

- حسنا

تنزع عمامتها فيظهر شعرها الأسود الطويل المسترسل ، و وجهها المنير كالقمر .

- العجوز : شعرك جميل يا عزيزتي .

- شكرا.

- العجوز سأساعدك في نزع قميصك

- حسنا .

- العجوز : الحمد لله أن إصابتك في الكتف الأيمن ، سأستعمل طريقة قديمة أعرفها لكي أنزع الرصاصة لكنها مؤلمة عليك التحمل.

- و قليلا ما تحملت لن يؤذيني هذا، فالله سندي ووكيلي.

تسخن العجوز سكينا حتى الإحمرار ثم تنزع به الرصاصة ، تطهر مكان الإصابة و تضمدها

..سيطرت عليها لعنة الصمت رغم الخراب الذي يحدث داخلها.

العجوز : لا ترجعي القميص لكي لا يضغط على الجرح و حاولي أن لا تنامي على ظهرك أو جنبك الايمن، سأغطيك.

تغطيها بغطاء يسترها و من ثم تأتي لها بصحن حساء

- لا أريد أن آكل

- العجوز : بلى ستأكلين إن كان ليس من أجلك فمن أجل صغيرك

- آه للحظة نسيت الامر، و لكن كيف عرفت ؟!

- العجوز : من خبرتي عزيزتي ، هيا سأساعدك

تتناول الحساء، ليصير مالحا إثر إنزلاق قطرة لامعة مخلفة وراءها طريق أسود يشوه تلك الحدائق الحمراء.

-العجوز : لن أسئلك عن سبب بكائك و لا عن قصتك الآن يا حبيبتي ، لأنك متعبة ، إرتاحي و غدا نتحدث.

- على فكرة اسمي مايا، ترد بابتسامة خفيفة و يداها تنظف تلك الحدائق من الدمار الذي حل بها.

- العجوز: "تشرفنا يا مايا "، تقول بتأثر " إن رزقني الله بنت فأكيد ستكون في مثل عمرك تقريبا ، الآن ارتاحي و غدا نتحدث "

و نامت العجوز

لكن مايا من شدة ألمها لم تنم ..

ألم موطن أسرارها الذي طعنه سكين الغدر، فقد ضمدت جرح كتفها لكنها انجرحت كلما أرادت إصلاح كسرها ، رغم هذا لكنها كانت تحاول الهروب من واقعها بين الأحلام.

تستيقظ مايا على صوت العجوز وهي ترتل آيات من القرآن

تتوقف مايا عند آية معينة تسمعها بإنصات ألا و هي :

«وَ بَشِّرِ الصَّابِرِيـنَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون»

- تدمع عيون مايا متأثرة : آه كم إشتقت إليه ، حقا إنا لله وإنا إليه راجعون و له عابدون و عليه متوكلون، حسبي الله و نعم الوكيل .

- تختم العجوز القراءة، و تقول : صباح الخير يا إبنتي ، هل لك أن تتناولي معي فطور متواضع ؟

تهز مايا رأسها بالموافقة ، فتأتي العجوز بالفطور.

- مايا : هل لي أن أسألك؟؟

- العجوز : نعم تفضلي

-مايا : لماذا تعيشين لوحدك في الغابة ؟

-العجوز : يمكنك أن تناديني العمة فاطمة، أنا ذات جذور عربية أتيت إلى دولة الأجانب بحثا عن عمل ، تعرفت على إبن موطني هنا، رجل لطيف خلوق متدين و يحبني كثيرا ، وجهه يحكي كثرة مساعدته للناس و حبه لدينه من نوره ، أحبني و أحببته كثيرا ثم تزوجني ، كان زوجي بلال حطاب و له موهبة في النجارة ، بنا منزلا هنا وسط الغابة لكي يسهل عليه العمل ، و بعد بضعة أعوام رزقنا بولد سميناه مصطفى على النبي المصطفى ، ملأ حياتنا كان يمثل عالمنا أحببناه لدرجة لا توصف ، كان يشبه أباه كثيرا لهما نفس العيون العسلية و كذا الأنف الصغير ، عندما بلغ الثامنة عشر من عمره عاد إلى الوطن، ليحقق حلمه بالإنضمام إلى الجيش و بعد بضعة أشهر وصلنا خبر إستشهاده ، زوجي من صدمته خطفته المنية إثر سكتة قلبية ، بعدما فقدت كلاهما قررت أن أبقى في هذا البيت مع الذكريات، و تكريس ما تبقى من عمري في عبادة الله سبحانه و تعالى ، هذه قصتي باختصار ، و الآن هل لي أن أعرف قصتك

- مايا : قصتي لن تحكى في دقائق و لا ساعات إنما يلزمها أيام و أشهر

- العجوز : أحكي و باذن الله سأسمعك للنهاية

- مايا : قصتي تبدأ ....

الفصل الثاني:

... مايا، أين أنت يا عزيزتي؟ أين تختبئين يا مشاغبة؟

_ترد مايا ذات الست سنوات بإبتسامة فوز : لن تجيديني أبداً يا ماما فأنا بارعة في الإختباء.

تتسلل أمي التي لا زال اسمها منقوش في وجداني "سهر"، و كلامها قرط جميل أرتديه في كل أيامي، و صوتها العذب يزيح عني همومي، و حظنها راحة من غدر زماني، تفتح الخزانة ببطئ

_أمي: ها أنت ذا، تعالي أيتها المشاغبة.

_ كيف تفعلين هذا يا أمي ليس عدل؟

_أمي: ليس من شأنك يا من تهرب من تناول الطعام

_آه، لا أريد أن آكل الفاصوليا فأنا لا أحبها

_أمي: و لا تحبين العدس و الخضر و ترفضين شرب الحليب..، ماذا تحبين؟ أتريدين أن تبقي صغيرة؟

_لا، أريد أن أكبر لأصبح بنفس طولك

_أمي: إذن تناول بصمت

_حسنا رغم أني لا أريد ذلك.

ليت أمي أخبرتني ذلك اليوم أن الكبر مجرد خدعة للدخول إلى معركة الحياة، لكنها كانت تراقبني و أنا آكل بإبتسامة حنان يا ليتني أراها و لو مرة.

_أنهيت نصف ما في الصحن لن أستطيع أن أكمل ما تبقى فأنا أكرهها.

_أمي: حسنا، و لكن لا تقولي أكره الطعام يا عزيزتي لأنه نعمة من الله.

_آسفة أمي لن أعيدها

_أمي: و الآن إذهبي إلى سريرك و نامي لكي تستقبلي جدك غداً.

_أ صحيح؟ وليي جدي سيحضر غدًا

_أمي: إعقلي أيتها المشاغبة الجميلة، لا تقفزي هنا و هناك، هيا معي إلى السرير.

_ حاضر

أوصلتني أمي إلى الفراش يومها، و أخذت تغني لي أنشودتي التي لم أنسى لحنها أبداً، تركتني بعدما نمت ببراءة الأطفال تلك، و لحن الفرح يعزف أنغامه في قلبي يجهز لإستقبال جدي.

جدي هو والد أمي و الوحيد الذي تبقى ليكمل عائلتنا، فجدتي توفيت بعد زواج أمي بشهرين مثلما قيل لي، و كانت أمي وحيدتهما، أما أبي فكبر يتيما بعد وفاة والديه لما بلغ الثامنة عشر من عمره، لو ما كان جدي لكنت فقدت الأمل و عشت مشردة في أحضان الشوارع.

دقت الشمس أبواب الظلام، لتشرق معلنة حلول الصباح، و من فرحتي إستيقظت باكرًا، يا ليت براءة الأطفال تعود لنا بذكرياتها الحلوة التي لا تنسى، نفرح لأتفه الأسباب، ننسى الحزن بتناول حبة حلوة، عندما كنا نبكي عندما نتأذى و لو قليلا، آه كانت تلك الايام أجمل ما عشته في حياتي، لو يستأذنني الزمان لأعود سأوافق بسرعة..

_أمي: صباح الورد يا أحلى وردة في العالم.

_ صباح السعادة أمي، ألم يأتي جدي؟

_أمي: لا يزال في الطريق عزيزتي، لا تقلقي سوف يأتي

_ كنت أظن أنني حين أستيقظ سأجده أمامي

_ أمي: لا تحزني سوف يأتي، اذهبي إلى الحمام، إغسلي وجهك و أسنانك و هيا لنتناول الفطور.

_ حاضر يا أمي

ذهبت و غسلت وجهي و يدي، ثم قابلت المرآة بإبتسامة قائلة:" لا تحزني يا مايا، أنت قوية و لطيفة مثلما يقول الجميع، يجب أن تكوني صبورة أيضا"، ثم توجهت إلى المائدة.

_أمي ماذا أعددت للفطور؟

_ أمي: حليب بالشكولاطة، بيض مسلوق، جبن، خبز طازج، مربى، و كعك لأحلى بنت.

_ شكرا أمي.

تناولت فطوري حينها و تفكيري موجه لجدي فعيناي على باب تنتظر أن يدق، بعدها ذهبت إلى غرفتي غيرت ملابسي، و بينما أنا أرتب سريري، إذ بالجرس يرن.

_جدي أتى جدي أتى

هرعت إلى الباب و قد ظهرت لي أجنحة ملائكية من كثرة الفرح، فتحت الباب و قفزت في عنق جدي، فحملني و قال: "أهلا بك يا صغيرتي، كيف حالك؟"

_ بخير يا جدي لماذا أطلت غيابك عنا؟

_ جدي: ظروف يا عزيزتي ظروف.

قبّلني جدي و جلس بي فوق الأريكة.

_أمي: أهلا بك أبي، كيف حالك؟هل أتعبك السفر ؟

_حضنها جدي، و قال لها : بخير الحمد لله ، كيف حالك أنت يا صغيرتي سهر إشتقت إليك.

_أمي: بخير و الشكر لله، و لكني لم أعد صغيرة الآن فهناك من أخذ مكاني.

_ صحيح، انا الصغيرة الوحيدة هنا.

_ جدي: حسنا عزيزتي أنت الصغيرة الوحيدة.

_أمي: إن أردت أن ترتاح يا أبي فقد أعددت لك غرفتك.

_ لا لن يذهب سيجلس معي و إلا سأغضب.

_جدي: حسنا يا عزيزتي سأجلس معك قليلا و لكني متعب من السفر، عليَّ أن أرتاح.

_ أمي: جدك متعب مايا، دعيه يرتاح و سوف يلعب معك فيما بعد.

_ حسنا، كانت ملامح وجهي في هذه الإجابة تترجم حزن الأطفال و براءتهم.

_جدي: سأرتاح قليلا و من ثم سأعطي لك هدية.

_ ماهي يا جدي.

_جدي: إنها مفاجأة.

_ لا أريد مفاجآت، أريدها الآن.

_ جدي: صبرا جميلا، بعد ما أرتاح سأقدمها لك

إبتسم جدي و ذهب لغرفته، ثم لحقته أمي، و كعادتي ظننت أنها ستسأله عن المفاجأة فتبعتها.

_ أمي: أبي ألست جائعا فآتي لك بوجبة سريعة حتى أنتهي من إعداد الغداء.

_ جدي: لا يا سهر، شكرا فقد أكلت في الطريق.

_أمي: إن إحتجت شيئا، ناديني.

_ جدي: حسنا، اذهبي الآن لكي لا يحترق الأكل و تقولين بسبب أبي.

ضحكت أمي ثم قالت: لن أقول ذلك.

توجهت أمي إلى المطبخ، و أبي قد ذهب للعمل باكرا، أما انا فذهبت إلى غرفتي لأحقق بعض من أحلامي لدميتي..

... و بعد مدة، دق الباب، فتحته أمي بإبتسامة

_أمي: أهلا عزيزي، كيف كان يومك؟

_أبي: الحمد لله على كل حال.

_أمي: دائما إن شاء الله.

_ أبي: أ أتى عمي صالح؟

_ أمي: نعم، إنه في غرفته يرتاح بعد أن أخذ الإذن من مايا.

_ أبي: آه، صحيح أين هي تلك المشاغبة؟

_ أنا هنا يا أبي، قفزت في حضنه وعانقته.

_أبي: إشتقت إليك صغيرتي، كيف حالك؟

_ ليست بخير

_ أبي: ما بك يا حلوة؟

_ جدي إشترى لي هدية و لم يعطها لي.

_ أبي: ربنا أوصى بالصبر يا عزيزتي.

_ صحيح.

_ أمي: أيتها المشاغبة الجميلة أتركي أباك ليرتاح.

_ أبي: أتركيها لكي نأكل معا، ماذا أعددت للغداء؟

_أمي: كفتة و دجاج محمر.

_أبي: يمي، هذا كثير على بطني أليس كذلك يا مايا؟

طأطأت رأسي بالموافقة

_أمي: هذا من أجل أبي لأنه غاب عنا كثيرا

_أبي: صحيح، فعام كامل ليس بالمدة القليلة

_أمي: نعم حتى أني اشتقت له كثيرا.

_أبي: نادي عمي صالح لكي يأكل معنا

_أمي: حاضر عزيزي

ذهبت أمي إلى جدي لكي تناديه

_أمي: أبي أبي استيقظ، إستيقظ هيا.

_جدي: إذهبي و أتركيني، لا أريد أن أستيقظ، غادري تبا لك.

أمي بخبث في عينيها: "حسنا"

أخذت أمي قارورة ماء فتحتها و رشت بها جدي

_جدي: آه، آه سأقتلك يا سهر

_ أمي من خلف الباب: إن لحقتني أولا

أستيقظ جدي من النوم و أصبح يطارد أمي، و هي تقفز من مكان لمكان كأن الزمن عاد بها لأيام الشقاوة و الطفولة، لتختبئ خلف أمير أحلامها لكن أبي سلمها لجدي و تبنى الحياد في معركة الإبنة و أبيها، فأمسكها جدي.

_أمي: آسفة أبي، سامحني

_جدي:لا، لن أسامحك...مايا كيف تريدين أن نعاقبها؟

_أمي بللتك بالماء، أليس كذلك؟

_جدي: نعم، و ماذا نفعل اذا؟

أمي تهددني بعينيها السوداويتين الواسعتين

_لن أقول يا جدي إنها تهددني

_جدي: لا تخافي أنا هنا يا عزيزتي

_فلنبللها بالماء هي الأخرى يا جدي

_جدي: فكرة جيدة

أدخل جدي أمي إلى الحمام و انا وراءه أضحك

_أمي: سأقتلك يا مايا ألم تجدي فكرة أخرى

_جدي: أصمتي و إلا قتلتك أنا اختناقا بالماء

أدخل جدي أمي تحت الرشاش المائي و شغله إلا أن إبتلت بأكملها. كانت تلك اللحظة جميلة جدا ليتني أعيشها ثانية.

_جدي: اللهم إجعله فرحا يسبق خيرا آتي.

فقلنا جميعا:آمين

غير جدي و كذا أمي ملابسهما، ثم إجتمعنا على سفرة الغداء. و بعد الغداء تذكرت أمر المفاجأة

_أين الهدية يا جدي إنتظرتها كثيرا؟

_جدي: آ نسيت سآتي لك بها.

ذهب جدي إلى غرفته و قدم لي هديتي، فتحتها بسرعة إذ بها دمية كبيرة.

_شكرا يا جدي، إنها جميلة جدا

_جدي: العفو، جهزي نفسك غدا سآخذك إلى الحديقة.

_ حقا، عدني بذلك

_جدي: وعد.

أظن أن تلك الليلة لعنتني.. و لم ترحمني مع صغر سني.. نمت على ابتسامة أمل.. لأستيقظ على أمل مزيف...وهبني الحياة ليعود و يعلقني بأمنية الموت... لأجد نفسي في متاهة ليس لها مخرج إلا انفلات الروح من الجسد...

الفصل الثالث:

_جدي: صباح الخير صغيرتي

_صباح النور جدي

_جدي: إستيقظت باكرا اليوم

_نعم لكي نذهب إلى الحديقة

_جدي: أي حديقة؟

_ لقد وعدتني بالأمس

_جدي: أنا؟

_إن لم تتذكر سأغضب منك

_جدي:كنت أمزح معك عزيزتي، كيف أنسى وعدي لك.

_آه كنت سأصدق مزاحك

_جدي:هيا لنتناول فطور الصباح و نذهب بعدها

_حسنا

تناولنا الفطور ثم توجهنا إلى ملتقى القلوب و ليتها دامت كذلك.. وصلنا إلى الحديقة جلسنا فوق الكراسي، فرأيت أطفالا يلعبون هناك.

_جدي، هل يمكنني أن ألعب مع الأطفال هناك.

_جدي: نعم، لكن لا تبتعدي

ذهبت حينها إليهم و سألتهم: " هل يمكنني اللعب معكم من فضلكم؟"

أجاب أحد الأطفال:" نعم أنا إسمي جواد و أنت؟"

_أنا مايا

كان هذا أول لقاء مع من خطف إحساسي، و سجن قلبي ليتعذب بلعنة كذبة اخترعها المسجون و صدقها مالك التفكير... و ليته تكبَّر و لم يصدق..

_جواد: أهلا بك يا مايا، أنا عمري 11 سنة و أنت؟

_انا عمري 6 سنوات

_جواد:تشرفنا بك يا مايا

_شكرا

_جواد: إذن لنلعب لعبة العصابة و الشرطة، سوف ننقسم إلى قسمين: القسم الأول يلعبون دور مجرمي العصابة، و الآخر يلعبون دور الشرطة.

و انقسمنا و حينها إنضممت إلى العصابة بينما جواد إلى الشرطة، كنت مكلفة بسراقة الحجر على أنه ألماس و ذهب، و كانت مجموعة الشرطة تلاحقنا، و اذ بي أكسب لقب "الرصاصة"، بسبب سرعتي.

توالت الايام، و كنت دائمة الزيارة لتلك الحديقة و الاستمتاع مع أصدقائي، و في أحد الايام ذهبت إلى نفس الحديقة فلم أجد أحد إلا جواد.

_أهلا جواد، لماذا تجلس لوحدك هنا؟؟

_جواد: أهلا، الكل ذهب إلى حفلة عيد ميلاد أيمن، إلا أنا و ذلك بسبب الشيء الوحيد الذي لا أملكه و إن أتتني فرصة لأجمعه سأفعلها.

_ماذا تقصد؟

_جواد: أنت صغيرة لن تفهمي

نظرت في عينيه و قلت له: لا سأفهم أخبرني

_جواد: المال، أبي و أمي توفيا في حادث و أنا أعيش عند خالتي، التي ليلا نهارا من أجل أن توفر لي مصاريف الدراسة ، و لا أريد أن أحرجها بطلبي للنقود من أجل شراء هدية.

_ لا تحزن، أنا هنا معك، لنلعب مع بعض أحسن لعبة عندي، أنا سأكون الحرامية و أنت الشرطي.

_جواد: حسنا

و في ذلك اليوم لعبنا حتى تعبنا، و بعد كل ذلك الجهد جلسنا نرتاح.

_جواد: مايا، هل يمكن أن تكوني صديقتي؟

_ألسنا صديقين؟

_ جواد: قصدي أن نكون أعز صديقين نتشارك الفرح، الحزن. و أن لا نتشاجر مع بعض، و تدوم صداقتنا للأبد.

_ موافقة

_ جواد: تفضلي هذه الإسوارة، أنا لدي مثلها و لتكون علامة صداقتنا

_ألم تقل أنه ليس لديك مال لشراء هدايا.

_جواد: هذه ذكرى من والدي، خالتي كانت تقول أن إحدهما لأبي و الأخرى لأمي.

_إذن هي غالية على قلبك، و ستكون كذلك بالنسبة إلي.

لبست الإسوارة و الإبتسامة تغمرني بسعادتي لذلك.

_ آ نسيت أن أخبرك عيد ميلادي في 22 جويلية، يعني بعد خمسة أيام، لا تنسى أن تحضر و إن كان من دون هدية.

_جواد: لا أستطيع أن آتي بدون هدية مستحيل.

_لكنك قدمت لي هدية، و إن لم تأتي سأغضب منك.

_ جواد: حسنا سآتي.

و حينها ناداني جدي

_جدي: عزيزتي مايا تأخر الوقت يجب أن نذهب.

_وداعا جواد، لا تنسى أن تأتي.

_ جواد: حسنا إلى اللقاء.

و بسرعة مرت الايام ، و أتى يوم عيد ميلادي...أو بالأحرى يوم نحسي... و ضربة إنقلاب حظي... بسقوط اشلائي و إنكسارها... ولعني بمتاهة ظلام الأسود... ليته إستأذن مني ذلك اليوم اللعين... كنت حطمته قبل أن يحطمني... لكنه أتى بغتة من ورائي و طعنني... جرح طعنته أسقطتني.. و لكني سأقف ذات يوم..

_أمي: صباح الخير عزيزتي ، إستيقظي

_ صباح الخير أمي

_أمي :هنيئا لك اليوم بلغت سن الصلاة

_ شكرا لك ، ولكن أليس الوقت مبكر لا يزال الظلام؟

_أمي: إستيقظي لنصلي الفجر يا طفلتي.

_ و لكن كيف نصلي؟

_أمي: ألن تسألي ماهي الصلاة أولا ؟

_ لا ، قبل العطلة أخبرتنا الآنسة أن الصلاة هي أعظم عبادة في الدين الإسلامي إذ أنها عماد الدين ،و هي عبادة للتقرب من الله أمر الله بها المسلمين ،

إنها مهمة لراحة المسلم نفسيا و بدنيا ، و أننا العام القادم عندما نبلغ السابعة ستعلمنا كيف نصلي لأنه السن الذي يبدأ فيه المسلم بتنفيذ هذه العبادة.

_أمي : جيد أنك تعرفينها، و الآن قفي لنتوضأ معا ثم أعلمك طريقة الصلاة.

و بعدها علمتني الوضوء و جعلتني أعيده ثلاث مرات كي أحفظ كيفيته، و ذهبنا لنصلي حينها قدمت لي مصحفا جديدا كهدية

_ شكرا يا أمي

_ أمي: اليوم قدمته لك و غدا أريدك أن تقدميه لي

_ كيف ذلك؟

_ أمي: عندما تحفظينه في قلبك، عندها فقط يصل لي كهدية أجمل.

_ إن شاء الله سأحفظه من أجلنا يا أمي

_ إن شاء الله عزيزتي

بعدها أذكر أننا قرأنا سورة "يس"، و أخبرتني أمي عن أهميتها في راحة النفس التي بدورها تساهم في راحة الجسد و العقل.

_ أمي: يمكنك الآن أن تعودي إلى النوم، و عندما تشرق الشمس و يطلع النهار سأوقظك.

_ حسنا أمي

خلدت حينها للنوم ثانية، و في الصباح

_أمي: إستيقظي عزيزتي، لكي لا تتأخري على حفل عيد ميلادك المميز.

_ صباح الخير أمي

_ صباح النور صغيرتي، عيد ميلاد سعيد أتمنى أن لا يمر عام من عمرك إلا وحققت فيه من النجاحات الكثير.

ذهبت إلى الحمام و إرتديت ملابسي و كنت متشوقة لهذا اليوم المميز الذي قيد أضلعي و حطم قلبي الصغير البريء.. ليته لم يأتي

_ أمي أين انت؟، لقد لبست تنورتي يجب عليك أن تساعديني في تمشيط شعري

_ أمي: أنا آتية عزيزتي سأضع الحلوة في الفرن و أكون عندك

_ حسنا أمي

أتت أمي و مشطت شعري و وضعت لي تاج الأميرة ، كانت فرحتي تلك اليوم لا توصف و يا ليتها دامت فرحتي يا ليت..

_ جدي :" لماذا تقفين أمام الباب "

_ أنتظر صديقي يا جدي

_ أبي : من يكون صديقك يا صغيرتي؟

_جواد انه لطيف جدا

_ أبي : حسنا ، إعتني به إذا

طأطأت رأسي بالموافقة

_ لقد أتى لقد أتى

_ جواد : السلام عليكم، كيف حالك يا جدي كيف حالك يا عمي و انت يا عمتي؟

_ جدي: بخير الحمد لله

_ أبي: الحمد لله أتمنى أن تكون صديق حقيقي لمايا

_جواد :سأكون كذلك بإذن الله ، آه نسيت عيد ميلاد سعيد لك يا مايا

_ شكرا... إلى أين ستذهبان ؟!

_أمي: سنأتي لك بهديتك و نأتي بسرعة.

_ "حسنا "،قلت بابتسامة

_أبي: هيا تأخرنا

ذهبا والدي ... ليته ينفع الندم.. ليت الزمن يعود بي.. ليتني لم أذق طعم التحطم.. ليت الدموع ما أغرقتني... ليت نار الوجع ما أحرقتني... ليت الألم ما قتلني... ليت الظلام ما دفنني... ليت حتفي حضر...و أوراق حياتي خطفت مني... على الأقل ما كنت ذقت ما ذقت...لكن قدري و مكتوب لي..

الفصل الرابع:

_جدي: ألو ، ماذا قلت!؟ أين؟ حسنا حسنا. قال ذلك، و ملامح التفاجئ و الخوف بادية على وجهه

_ماذا حدث يا جدي؟

_جدي: لا تخافي عزيزتي والديك قاما بحادث بسيط هيا لنذهب إلى المستشفى و أنت يا جواد أتريد أن تعود إلى البيت!؟

_جواد: لا يا جدي سآتي معكما لأطمئن على عمي و عمتي

_جدي: هيا إذن بسرعة

و كأني بعد سماعي لخبر... دخلت متاهة الصدمة.. ظلام يملأ المكان... لأجلس في زاوية الحطام... و خطوط الرماد ترتسم على وجنتي... لكنه كان هناك.. يحاول إنقاذي من تلك المتاهة.. نعم الصديق كان... و فجأة وصلنا إلى بناية قطع الأمل..

_جدي: السلام عليكم، ضحايا الحادث الأخير الذي حدث وسط المدينة، أين أجدهم؟

_الممرضة: في الطابق الثالث، نحو قسم الإستعجالات.

_جدي: شكرا

ذهبنا أمام تلك الغرف التي فيها والداي ، جلست فوق الكرسي و أنا أدعو من كل قلبي أن لا يحدث ما أخاف منه ، جدي كان يبدو متوترا يمشي في الممر ذهابا و إيابا، بعد دقائق خرج الطبيب

_جدي: طمئني يا دكتور

_الطبيب: الصبر لك فقدنا الرجل للاسف، إن لله و إن إليه راجعون

و فجأة جدي جلس فوق الكرسي و أحسست كأنه تحطم، أما أنا ففهمت بعد موقف جدي أن أبي توفي فصرخت يا رب و كنت أبكي بصوت عالي

ركع الطبيب على ركبتيه و مسح دموعي ثم قال لي:" عزيزتي الصغيرة أمك إستيقظت و تريد أن تراك يجب أن تتماسكي كي لا تقابلها بهذه الحالة "

_جدي: ألا أستطيع أن أدخل معها

_الطبيب: آسف المريضة طلبت أن ترى إبنتها، حالتها حرجة لكن من مسؤوليتنا تلبية طلبات المرضى

_جدي: أتفهم ذلك، مايا اذهبي مع الطبيب لكي تري أمك.

ذهبت مع الطبيب ألبسني ملابس الوقاية، و أدخلني إلى أمي، كنت حالتها لا يرثى لها خدوش في كل مكان و رأسها ملفوف بضماد، و تتنفس بجهاز الأكسجين

إحتضنتها قال لي الطبيب: " بالراحة "فابتعدت

_ أمي، لا أتحمل فراقك أرجوك لا تتركيني لوحدي

نزعت أمي جهاز التنفس و أخبرتني بإبتسامة خفيفة و كلام ثقيل كأنها تلفظ انفاسها الاخيرة و بالفعل :" حتى و إن مت سأبقى دائما بجانبك و لكن لن تريني إلا عندما تغمضين هذه العيون الجميلة "

_ لا تقولي هذا سأموت من بعدك

_أمي: لا لن تموتي يا حبيبتي الصغيرة، أعرف أنك قوية و أحس أنني لن أبقى معك لذا أريد أن أقول لك كلمات إجعليها دائما قواعدك أولهم الصلاة ثم الصلاة هي عماد الدين ، القرآن يزهر القلوب إن

حفظ فيها، ثالثا إياك أن تبدي ضعفك لأحد كوني دائما قوية حتى إن كنت تموتين من الألم ، رابعا ساعدي غيرك قدر المستطاع فالدموع غالية يجب أن تمسحيها، و لا تنسي جدك هو دعمك الوحيد بعدنا إعتني به "

كانت هذه آخر ما سمعت من أمي قلت لها و انا أكتم دموعي: "حاضر و لكن لا تتركيني أنا أحبك"

_امي: إنها أوامر القدر عزيزتي، لا اله إلا الله محمد رسول الله، أريد منك أن تتقدمي لي كي أقبلك.

تقدمت إليها قبلتني فأحسست بدمعتها تلامس خدي فجأة سمعت صوت الأجهزة تعلن توقف قلب أمي

_الطبيب: أخرجي يا صغيرة.

إبتعدت قليلا و لكن لم اخرج بقيت أرى الطبيب يضربها بالصدمات الكهربائية و لكن دون جدوى إلى أن يئس و هنا غطى وجهها ، أحسست أن الزمن ظلمني أبكاني خدعني حطم قلبي أوجعني لعنني بالكبر بين ليلة وضحاها.. فهو إحساس لا يوصف و كأني زجاج منكسر إلى قطع صغيرة إن لملمت نفسي

أنجرح من الذكريات و إن تركت شتاتي فكيف لي أن اعيش؟

خرجت إلى جدي، بجسد دون روح.. شحوب وجه يترجمني...و صمت هادئ يقتلني..

_جدي: ماذا حدث؟

و هنا خرج الطبيب و أعلن وفاة أمي الغالية مصدر فرحي و قوتي.. من كانت تحلم لتراني كبيرة.. من كانت تحضنني عند حزني و كأنها الأمان.. و لكن أين حضن أمي الآن فأنا أحتاجه.. أين كلام أبي الذي يسندني و يقويني.. لماذا لم أمت أنا.. أنا صغيرة و ظلمت أريد أن أنصر أين عدل القدر... أريد حقي في العيش مع والدي.. أريد حنان أمي و تشجيع أبي لي.. أريد أن أعيش مثل غيري.. و لكني مت و أنا حية.. فكيف لقلب محطم أن يعطي صاحبه الحياة.. الصمت سيطر علي... وكأن الصدمة أخذت صوتي و دموعي إلى داخلي.. فذلك الدمار الذي في باطني يعذبني.. شلال الحمم يحرقني و يشوه تلك الحديقة التي يعشقها الجميع ... صراخ الروح يدمرني... عاصفة الذكريات خلفت خرابا.. ليأتي الأسود و يعلن حلول

الظلام في حياتي.. بنت السبع سنوات تذوق عقاب القدر القاسي... ظلم حقا ظلم..

حضنني جدي هو يبكي و يقول لي:" إبكي يا عزيزتي، ابكي "

لكني لم أستطع الخروج من تلك اللعنة

أتى الطبيب قال لجدي أنه سيأخذ الجثتين غدا حتى يكمل بعض الأوراق، رجعنا إلى البيت الذي كان مزينا على أساس عيد ميلادي جلست فوق الأريكة، و كان جدي و جواد يحاولان جعلي أبكي أو على الأقل أتكلم، و لكن دون جدوى.

_جدي: جواد إذهب إلى البيت والديك سيقلقان عليك تأخر الوقت.

_جواد: على فكرة أنا يتيم و أسكن عند خالتي الوحيدة التي تبقت لي من عائلتي، و لذلك أنا أحس بمشاعر مايا إنها تتمزق داخليا يجب أن تبكي، أنا سأذهب الآن كي لا تقلق خالتي و أنت حاول معها يا جدي.

أوصل جدي جواد إلى الباب؛ و هنا أحسست أنني إستيقظت من صدمتي و إذ بي أغلق الباب على جدي خارجا وألقي ما بداخلي، كسرت الأواني، رميت

الكعك أرضا، نزعت الزينة و قطعتها، فجرت البالونات، قلبت الطاولة التي فيها تحضيرات الحفل، و أنا أصرخ قائلة أكره عيد ميلادي إنه أسوء يوم في حياتي، فتح جدي الباب بسرعة و دخل يجري، كذلك جواد

_جواد: إهدئي يا مايا

_جدي: وهو يحضنني ابكي يا حبيبتي ابكي و إذ بي أفجر تلك الفيضانات التي تغرقني: " أنا منحوسة يا جدي والدي توفيا يوم عيد ميلادي، لماذا أخبرني لماذا؟ "

جدي: " لا تقولي ذلك يا عزيزتي إنه قضاء و قدر، ثقي بالله " و تلا على مسمعي آية: " و بشر الصابرين.. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون.. أولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و أولئك هم المهتدون.... صدق الله العظيم " و أضاف:" الحياة إمتحانات يا إبنتي و الصبر الجواب الأصح، ليس لنا إلا أن نوكل أمرنا لله عز و جل "

و هنا هدأت قليلا و قلت لجدي " سأذهب لغرفتي لأرتاح قليلا "

_جواد: لا لن تذهبي لوحدك، جدي إذهب معها، سأنظف ما فعلته مايا ثم أغادر لا تخف أعرف طريق العودة

ذهبت أنا و جدي إلى غرفتي، اتكأت على فخذه، و كان هو يلامس رأسي مثلما كانت تفعل أمي عندما أكون متوترة، و إذ بي أنام تلك الليلة و الدموع تغرق قلبي في الألم و الوحدة.. و أما الوجع فكان مطرقة تحطم قلبي إلى فتات صغيرة.. أمي و أبي في نفس اليوم ظلم أيها القدر... جرحتني و في يوم سعادتي الذي أنتظره بالدقائق و الثواني... صرت اليوم أتمنى أن لا يحضر.. ليته بعد سواد الظلام يبزغ الفجر..

لن أنسى أبدا وقوف جواد بجانبي، كان ظلا لي في تلك الايام الصعبة التي تخلى عني الحظ فيها، لقد كان عند وعده لأبي بأن يكون صديقا صالحا لي.

في صباح اليوم التالي، إستيقظت و قد نسيت ما حدث لي و بعد ثواني تذكرت مأساتي و عندها سقطت جوهرتين متلألئتين من عيني دون إحساس مني، وجدت جدي نائم بوضعية الجلوس، لم يرد أن يوقظني عندما نمت على فخذه مسكين، تذكرت

وعدي لأمي بأن أعتني به فذهبت إلى المطبخ حضرت الحليب و هذا ما كنت أعرف فعله، ثم أيقظت جدي

_ جدي إستيقظ ارجوك

_جدي كالعادة: دعيني أنام

ثم و كأنه تذكر ما حدث، فطن بسرعة، وقال لي: " أنت بخير عزيزتي؟!"

_ و أين الخير؟! ولكن الحمد لله على كل حال

_جدي: لا تقولي هكذا يا عزيزتي، الحمد لله دائما

_ لقد حضرت لك الحليب

_جدي: صحيح، أنت بنت شاطرة ، هيا لنفطر معا

دمعت عيني و قلت له: هيا إذنًا

شربنا الحليب، و حينها تذكرت كيف كانت أمي تملأ المائدة بأشهى المأكولات، كيف كان أبي يضعني فوق الكرسي و يضيف لي تحته وسادة لكي أرتفع قليلا و يطعمني بيده، و توبيخ أمي لي كي أكمل طعامي، و دفاع أبي عني و لكن اليوم قلبي يتقطع عند رؤيتي المائدة فارغة ليس فيها طبخات أمي، و لا حتى والداي، كنت أسمع أن الصغار لا يجب

إحزانهم ولكني أبكي لماذا حدث معي هذا؟.. لماذا فقدت والداي؟.. لماذا أصبحت وحيدة بين ليلة و نهار؟.. لماذا القدر ظلمني بهذا الشكل لماذا؟! .. لماذا لعنني باليتم؟.. ولكنه القضاء يجب أن أتمسك بربي لأنه وكيلي و من تبقى لي في وحدتي

_جدي: أ أنهيت؟

_ نعم

_جدي: انا سأذهب إلى المستشفى و لا أريد تركك لوحدك و لكن...

و هنا دق الباب، إنه جواد و خالته

_الخالة: عظم الله أجركم يا عمي

_جدي: ثبت الله أجرك، تفضلي

دخل جواد بسرعة يبحث عني

_جواد: مايا أنت بخير

_ الحمد لله على كل حال

_جواد: الحمد لله، لقد أتت خالتي

_نعم لقد سمعتها، هيا معي لأسلم عليها

ذهبنا إلى غرفة الضيوف

_السلام عليك خالتي

_الخالة: و عليكم السلام تعالي إلى هنا

عندما تقدمت لها عانقتني و اخذنا في البكاء معا

_جدي: يا خالة جواد.

_الخالة: اسمي ميسة يا عمي

_جدي: يا ابنتي ميسة أنا سأترك لك البيت و مايا و أذهب لأكمل بعض الأوراق أتمانعين ذلك

_الخالة: لا أمانع بالعكس، إذهب يا عمي مايا بأمان

ذهب جدي، و هنا قالت خالتي: " عزيزتي الصغيرة أريني أين تضع أمك مواد التنظيف لكي ننظف البيت، و شغلي التلفاز على قناة فيها القرآن الكريم "

شغلت التلفاز كما أمرتني الخالة، أما هي فنزعت حجابها و شرعت في التنظيف و وكلتني أنا وجواد بمهمة مسح الأثاث من الغبار.

و عندما عاد جدي بدأ الجيران و الأصحاب و الأقارب في المجيء للعزاء ، لم أستطع أن أرى أبي و أمي

جثتين، لم أتحمل فكرة الفراق دخلت غرفتي و أغلقت الباب و أخذت في البكاء، أتت ورائي الخالة عندما اخبرها جواد أني أغلقت الباب و لم أفتح له.

_الخالة: إفتحي عزيزتي، أرجوك

_ أريد أن أبقى لوحدي قليلا

_الخالة: إفتحي و إلا أخبرت جدك

و عندها فتحت الباب، حضنتني الخالة و قالت لي و عينيها تدمع :" أعرف ان أمك لن تعود، و أعرف أنني لن استطيع أخذ مكان أمك، لكني أريد منك أن تعتبريني مثل أمك، حسنا "

و هنا سمعت الناس يخرجون من بيتنا واحد تلو الآخر و هنا فهمت انه حان وقت الدفن، و هنا عانقت خالتي بقوة و إنفجرت في البكاء، أحسست في ذلك الوقت و كأنه لم يعد لحياتي أثر .. كأني مت و انتشرت اشلائي بين الأزمان... كأن الماضي كان حلم جميل.. ثم بين ليلة و ضحاها أصبح الحلم كابوس و يا ليته كذلك.. لكي أستيقظ منه و أجد أمي بجانبي و أبي آتي من العمل كالعادة.. يا ليت الزمن ما غدرني.. يا ليته لم يقتلني... يا ليته حذرني.. يا ليته أنذرني.. لكنه أوجعني.. كسر قلبي.. أبكاني.. غيرني.. لم أعد

مايا الصغيرة اللطيفة.. صرت البنت المكسورة العنيفة.. فقد وعدت أمي أن أكون قوية.. و سأكون عند وعدي لها.. سأكبر في اليوم سنة.. سيقولون كيف و متى.. سأتحد الزمن و الوحدة.. و أري العالم الوجه الثاني لي.. مع صغر سني لكني كنت اكبت ألم أكبر مني... حسبي الله ونعم الوكيل

الفصل الخامس:

... و مرت الأيام و الليالي، و بعد ست سنوات

_جدي: الحمد لله أنك أتيت، كيف كان يومك عزيزتي؟

_بخير، الحمد لله

_جدي: أخبريني أين ذهبت اليوم؟

_ كالعادة يا جدي، ذهبت إلى المكتبة ثم إلى خالتي و من هناك ذهبت أنا وجواد إلى درس الفنون القتالية، ثم عدت إلى البيت.

_جدي: ست سنوات و أنت تدرسين الفنون القتالية ألم تتعبي؟ حققت الحزام الأسود في الكاراتيه و برعت في رمي السهام و الرماح، و تعلمتي كيف تتسلقين المرتفعات وتعلمت فن المبارزة، أنت تجهدين نفسك أليس ما حققته كاف!؟

_ لا يا جدي لا يهم الجهد تهم القوة، يجب أن نصير أقوياء لكي لا نحتاج لأحد، أما في أمر أليس كاف، فلا ليس كاف، وعدنا أنفسنا أن نتقن كل فنون القتال

_جدي: و ماذا بقي لكما؟!

_ فن الملاكمة، و بعدها سننضم إلى الكشافة لكي نكتشف الغابات.

_جدي: أنتما الإثنين قد جننتما.

قبلت جدي و قلت له: سنبقى مجنونين مادام لدينا جد مثلك

دق الباب

_أهلا جواد

جواد: أهلا، أين جدي!؟

دخل جواد و سلم على جدي

جواد: هيا لأوصلك إلى درس، حفظ القرآن الكريم.

_و لكني أعرف الطريق لماذا تلاحقني؟

_جواد: مايا سنتكلم في الموضوع مجددا، و أصلا إن تحقق ما في بالي فلن تريني بعد الآن

قلت بحزن: لماذا أين ستذهب و تتركني لوحدي؟!

_جواد: أنسيتي أني أنتظر نتيجة الإمتحان النهائي

_صحيح متى ستخرج؟!

جواد: قيل أنها يوم 1 أوت ستظهر النتيجة أنا متشوق جدا، غيرتي الموضوع هيا لأوصلك

_ دقيقة لكي أغير ملابسي

_جدي: صحيح، أين وصلتما في حفظ القرآن!؟

_جواد: انا ختمت القرآن، اما مايا تبارك الرحمن حفظت 59 تبقى لها حزب واحد و تختم القرآن كاملا

_جدي: صحيح، باركّكما الرحمان

_ من الغرفة: يا ذكي انا أيضا ختمت القرآن

_جواد: مبروك متى؟ و لماذا تذهبين إلى الدرس إذنا

_تطوعت لكي أدرب الأطفال الصغار

_جواد بصوت منخفض: جدي عيد ميلاد مايا بعد يومين، أخاف أن تفعل شيء لنفسها أنسيت أنها المرة الماضية أغلقت على نفسها و لم نراها حتى إكتمل اليوم.

_جدي: صحيح، نسيت هذا و ماذا سنفعل!؟

_جواد: جدي ما رأيك أن نذهب في رحلة غدا و نبقى نستمتع حتى يمر يوم عيد ميلادها دون أن تحس بذلك

_جدي: أحم أحم، أذاهبة يا مايا؟

_ نعم يا جدي

_جواد يغمز لجدي: هيا يا مايا

_إلى ماذا تخططان أنتما الإثنان!؟

_جدي: لا شيء عزيزتي

و بينما نحن في الطريق سألت جواد: " ماذا تخطط أنت و جدي؟"

_جواد: إنها مفاجأة

_ مفاجأة إذن

_جواد: نعم و لا تحاولي لأني لن أخبرك.

_ حسنا، هل ستأتي لتأخذني أو أذهب لوحدي؟

_جواد: سأتي إن شاء الله إلى اللقاء في أمان الله.

كنت سعيدة لأني سأساعد الأطفال على حفظ القرآن، لعلها أجر في ميزان حسناتي، و بعد انتهاء الدرس وجدت جواد ينتظرني أمام الباب.

_ألن تخبرني ماهي المفاجأة؟

_جواد: إن أخبرتك لن تصبح مفاجأة، صبر جميل

_ أنا متشوقة لأعرف ماهي؟

و عندما وصلت للبيت وجدت خالتي ميسة في البيت تحضر الطعام، فغيرت ملابسي و دخلت المطبخ لكي أساعدها، ثم حضرنا الطاولة، و جلسنا كلنا كعائلة واحدة، و إذ بجواد يقول: سأعلن عن المفاجأة، أريد منك يا مايا أن تجمعي أشياءك لأننا ذاهبون غدا في رحلة مع الكشافة

_غمرتني إبتسامة فرح : صحيح، إذا سأبدأ في جمع ملابسي

_الخالة ميسة: إلى أين!؟ اجلسوا أنتما الإثنين، الآن وقت العشاء و إذا قام أحدكم سأضربه بحذائي حتى يتعلم آداب الأكل

_قلنا و نحن نضحك: لا تخافي مادام فيها ضرب لن نستيقظ.

أكلنا الطعام ثم نظفنا الأواني و بعدها ذهبت إلى غرفتي جمعت أغراضي المهمة و المشكلة أني لم أستطع الإستغناء عن شيء، و لكن أتت ورائي الخالة و قالت لي و هي تضحك: ما هذا كله!، أضيفي السرير أحسن

و بدأت تنزع لي أشياء تراها غير مهمة إلى أن إستطعت إغلاق الحقيبة

و ها قد أتى الغد استيقظنا باكرا تناولنا الفطور ثم إستقلينا الحافلة

طول الطريق كنا نغني و نلعب إلى أن وصلنا إلى مخيم الكشافة، و هنا نصبنا خيمتين خيمة لي و لخالتي و خيمة لجدي و جواد.

استأذنت أنا و جواد من رئيس الكشافة و سمح لنا بالإنضمام إليهم

كان هناك إمتحانات كثيرة و كل إمتحان مرتبط بجائزة

أول إختبار كان أنن نتسلق شجرة طويلة جدا، الكل حكم عليها من طولها و خافوا السقوط فلم يتجرأ أحد على الصعود إلا أنا و جواد و ذلك بعد جهد في إقناع الرئيس لأنه عارض ذلك بسبب صغر سني فلم

يسمح لي، و صعدنا جواد أجهده التعب و لم يستطع الإكمال لكني أكملت إلى أن وصلت إلى أعلى نقطة في الشجرة، كنت ألعب كأنها مسألة حياة أو موت، تعلمت أن الجد في الأعمال من أساسياتها، بعدها أخذت جائزتي هاتف نقال تحت تصفيق حار لي .

و ثاني إختبار و كان الأصعب ترييض الشبل غاضب في المحمية، رفض الجميع ذلك و عارضني جدي و جواد و لكني خدعتهم و دخلت، كل يناديني لأعود

وصلت إلى الشبل الذي كان يجري إتجاهي و لكني لم أخف لأني قرأت كتاب يتحدث عن ترييض الحيوانات و تمعنت فيه و حفظته، فعلت حركة جعلت الشبل يداعبني و كأنه قط الكل متفاجئ كيف فعلت ذلك، أما أنا قد فرحت لأني أول أرى شبل أسد عن قرب، و خرجت من هناك، هنأني الرئيس و كان إسمه حسان على شجاعتي و قدم لي جائزتي كمبيوتر محمول، و سألني: يا صغيرة كيف فعلتي ذلك أتعرفين أشجع الرجال لم يتجرؤوا على فعل هذا؟

_قرأت ذلك في كتاب

أعلن الرئيس عن نهاية الجوائز لهذا اليوم

تجولنا في المكان، و عندما حل الليل كنا نغني و نلعب على نار المخيم الجميلة و نمت تلك الليلة و كلي سعادة حتى أني نسيت أن الغد يوم عيد ميلادي

إستيقظنا في الصباح على صوت رصاص، و كنت أظن أنها خدعة و لكن عندما خرجنا اذ بهم عصابة تحاصر المخيم و قال أحد منهم: الكل يركع على ركبتيه و يرفع يديه

تفاجأت بأن الجميع نفذو أوامره، هذا الأمر أغضبني جدا، أجبرتني خالتي على تنفيذ الأوامر رغما عني لكني لم أسكت.

_يا عمي القوي الضخم الشرير تعال إلى هنا

خالتي ميسة بصوت منخفض : مايا أصمتي ستتسببين في قتلنا.

_همست لها: عندي خطة لا تخافي

_خالتي ميسة: آه أنت و خططك

أتى نحوي رئيس العصابة و كان الوحيد الذي يحمل سلاح أما الباقي فكانو يحملون سكاكين

غمزت جواد و أعرف أنه فهم قصدي

و إذ بذاك الضخم يمسكني من ملابسي و يجعلني أقف: أنا شرير يا صغيرة

_لا أنت جميل و تساعد الناس و أنت الآن تعلمهم تمارين اليوغا و هربت بعد أن فعلت حيلتي و أخذت المسدس

أخذ يجري ورائي: يا شقية تعال إلى هنا هذا ليس لعبة سأقتلك إن أمسكتك

قلت له: إن أمسكتني، يا شرطي خذ

و إذ بجواد يتلقى المسدس و يوجهه نحو رأس رئيس العصابة بعد أن تسلل خلفه دون أن يشعر به

_يا أشرار إنهزمتم، إرموا ما في أيديكم و إستسلموا و إلا مات زعيمكم

و إذ بشخص منهم يأتي ورائي و يحاول وضع السكين على رقبتي و لكني لويت يده بإحدى حركات الكارتيه التي تعلمتها.

حاول رئيسهم التذاكي فأصابه جواد في رجله و هنا خاف الحرامية و إستسلموا و إذ بي أكلم الشرطة من هاتف مدير المخيم فأتوا و قبضوا عليهم.

الشرطي: من الشجاع الذي كان السبب في إنقاذ الجميع؟

تقدمت انا و جواد و إذ بالحيرة تملأ وجهه

_قلت له: لا تتعجب هذا المحقق جواد ذكي مثل المحقق كونان.

_ضحك و قال لنا: يا جواد ستحقق حلمك مثلما قالت صديقتك اللطيفة و سنكون في انتظارك لتعمل معنا، و حياه.

و أضاف لي: و أنت أتريدين أن تصبحي شرطية مثله؟

_ لا أفكر في ذلك، أظن أني سأصبح كل شيء في يوم من الأيام

_ضحك الشرطي و قال : و كيف ذلك؟!!

_سأفعلها و سترى

_الشرطي: حسنا، سنرى... يا جماعة أنصحكم بالرحيل أو البقاء في الفندق القريب من هنا

_جدي: سنرحل كفاية

_جواد يغمز جدي: جدي يجب أن نبقى المكان جميل هنا.

_ لا تخف يا جواد تعديت فترة حزني و الآن بدأت فترة قوتي، لن أفعل شيء.

_جدي بتحسر : آاه نسيت الأمر

_ و يعني فكرتكم بالمجيء ستنسيني يوم ضعفي، لا صححوا الفكرة، سنذهب للبيت جدي تعب و أثر عليه هذا الموقف.

و رجعنا إلى البيت ذلك اليوم، مثلت القوة أمامهم

ثم استأذنت منهم و ذهبتي لغرفتي لأرتاح، توضأت و صليت عسى أن أنسى همي، ثم إنبطحت على سريري بعدما أغلقت الباب و أذنت لذلك الإنفجار بالخروج، لم اتحمل أن أكتم أكثر سأختنق و هاهي ست سنين تمر لتزيد وجعي بفقدان والداي، حملت مذكراتي و بدأت أكلمها: ست سنين مرت... و كل سنة تطعن مايا اللطيفة في نصف قلبها... و هاهي تعلن موتها للمرة السادسة... تنادي تعبت من سكاكين الحياة... تعبت من خنقة الهواء... تعبت من غرق قلبي في الدموع و هو يطلب النجدة... تعبت من لملمة أشلائي المنكسرة و محاولة إصلاحها... و عندما أنهي أجد الذكريات تعيد كسرها بمطرقة يوم ميلادي... ميتة تمشي على الأرض

تجاهد النفس... لا تتعجب يا زمن فهذه أنا أستيقظ من قبري للمرة السادسة.... بعدما سلمت على جزئين مني دفنتهما و كلي حسرة عليهما... كيف حالك يا أبي ها قد كبرت... و أصبحت قوية و خائفة بعدما كنت ضعيفة و شجاعة لأنك سندي... كيف حالك يا أمي ها قد وفيت بوعودي الخمسة... و لازلت أوفي بهم عودي لكي توبخيني عندما أخطأ... أحتاج إليك يا غالية أحتاج إلى حضنك الذي ينسيني عالم الكذب و النفاق.. أشتاق إليكما كثيرا

و نام الجميع تلك الليلة بينما كنت ارتشف أنا من كأس المأساة و التحسر الذي يخطف النعاس عيني و أنا اقرأ كتاب الذكريات الحزينة، و كل دقيقة تمر كأنها سنة بأكملها إلى أن أشرقت شمس الأمل والتفاؤل عسى تنسيني نكدي و تشاؤمي

_صباح الخير جدي

_جدي: صباح الخير مايا، إلى أين ستذهبين؟

_ إلى جواد فقد قرأت في مواقع التواصل الإجتماعي أن نتيجة شهادة التعليم الثانوي ستظهر اليوم

_جدي: حقا، سآتي معك إنتظريني

_ هيا اذا

و ذهبنا إلى بيت جواد

_السلام عليكم خالتي ميسة، أين جواد؟

_الخالة ميسة: و عليكم السلام، جواد نائم يا عزيزتي، سأذهب لأوقظه

_لا سأذهب أنا

و تقدمت إلى غرفة جواد

_جواد إستيقظ

_جواد: دعيني أنام قليلا

_على راحتك، و من يهمه أن يرى النتيجة

_جواد يستيقظ بسرعة: نتيجة ماذا؟!

_نتيجة تعبك

_جواد: و لكنه لازال عليها 9 أيام

_رأيت على الفايسبوك أنها ستظهر اليوم

جواد إستيقظ و فتح الحاسوب

_جواد هيا لنفطر قبل هذا

_جواد: لن أستطيع أن آكل شيء حتى أتأكد

_ على راحتك إذن

_جواد: صحيح، و هي ستظهر على الساعة الثالثة مساءا، كم الساعة الآن

_إنها التاسعة و نصف

_جواد: لازال هناك خمس ساعات و نصف

_صباحا جميلا يا جواد هيا لنفطر

_جواد: أنا متحمس جدا و خائف في نفس الوقت

_لا تخف، الخالة ميسة تنادي هيا لنذهب

تناولنا الفطور حينها و نظفنا البيت أنا و خالتي بينما جواد فظل ينتظر و أعرف ان هذه المدة كانت ثقيلة عليه لأنها ستحدد مصيره الدراسي

و ها قد أتت الدقائق الاخيرة كلنا مجتمعين حول الحاسوب إلى أن صرخ جواد نجحت نجحت و حضن الجميع من الفرحة

_ تمهل يا صديقي المجنون، كم أخذت؟!

_جواد: علامة لم أكن اتوقعها، إفتحي التلفاز يا مجنونة لأرى ما يقولونه

فتحت التلفاز و إذ به يذكر اسماء الثلاث الأوائل على مستوى الوطن و كان جواد بينهم.

_جواد: الحمد لك يا الله

أنا بفرحة مختلطة بالتحسر و الدموع : مبروك لأنك ستتركنا و تذهب للدراسة بالخارج

_جواد: لا تحزني يا مايا، سنبقى على تواصل

و إذ بالباب يندق، إنهم أصدقاء جواد

_أصدقاؤه: إلحق يا جواد، الصحافة هنا تريد مقابلتك

كلنا في تساؤل: صحافة

جواد: أين هم!؟

اصدقاؤه: أنهم في الثانوية

جواد: إسبقوني، أنا وراؤكم

غير جواد ملابسه، و قال هيا معي، أكيد لن أذهب لوحدي

ذهبنا معه لكني لم أقترب، أحسست أني سأفقد جواد، صديقي الوحيد، كنت حزينة جدا

و في الليل التقينا على مائدة عشاء واحدة، حاولت إخفاء تأثري و حزني

_ جواد، إلى أي جامعة ستذهب و هل ستترك خالتي!؟

_جواد: إلى جامعة في بلاد أجنبية و لكن الجميل فيها أنك تستطيع اصطحاب شخص من العائلة و انا سآخذ خالتي ميسة، عندما أتخرج سأصبح المحقق جواد

_قلت بغضب: إذنا إستعد لتحقق في جريمتي، لأني أفكر في ارتكاب جريمة قتل لكي أنتقم

_جواد: هل ستقتلينني؟

_قلت بسخرية: صحيح، و كيف عرفت؟!

_جواد: إن قتلتني كيف سأحقق في قضيتي، أعرف أنك. ستشتاقين لي و لكن...

_ و من قال هذا لا لن أشتاق إليك

_جدي: أسكتا انتما الإثنان، لا كلام على مائدة الطعام

_ لست المخطئة، أنظر له يا جدي، أو سأقول وداعا، هيا يا جدي لنذهب لسنا من العائلة

_الخالة ميسة: يا مجنونة نحن عائلة، و أكيد سنجتمع يوما ما

أنهينا العشاء بعدما أسكتني جدي بنظرته المخيفة

و بعد مدة ثلاثة أشهر أتى الموعد المنتظر، أتى يوم إنجراح كياني و سقوط أشلائي التي ظللت سنين أجمعها بعد فقدان جزئين عزيزين منها، صبرا يا قلبي صبرا.

جمعت خالتي ميسة و جواد ملابسهما و جاؤوا ليودعونا لكني رفضت أن أودعهم لأن المنية أهون من هذه اللحظات.

_جواد: إفتحي الباب يا مجنونة

_أنا بحزن شديد مبتلة بدموع الفراق بنبرة غضب تدعي الصلابة : لا لن أفتحه و إن فتحته سأقتلك على الأكيد

_جواد: رجاء يا مايا أكيد لن أذهب من دون أن أراك

فتحت الباب و إرتميت في حظنه محطمة تمطر عيوني حزن و تعب و حسرة

_جواد: إهدئي يا مايا أعرف أنك ليست ضعيفة لدرجة أن هذا يكسرك

_ سأشتاق إليكما

_ردت الخالة ميسة بحزن: ونحن كذلك صغيرتي

_جواد: نحن سنذهب الآن، و لكن لن ننساكم أبدا.

و ذهبا الى المطار، و حلقت الطائرة و كذلك قلبي معها لم و لن أنسى ذلك اليوم أبدا، فقد أحسست فيه أن الوحدة مكتوبة في قدري بالخط العريض، كان أبي و أمي لأضيف لهما بعد جواد و خالتي، و حقا مثلما قالت أمي لم يتبق لي إلا جدي، ربي يحفظه لي..

الفصل السادس:

بعد ثلاث سنوات..

_ مايا، شهد، ألاء إلى مكتب المدير فورا

_المدير: من منكم سكبت الزيت على الدرج أمس.

_ شهد: مايا هي التي فعلت ذلك، حتى إن لم تصدقني إسأل ألاء

_ ألاء: صحيح، أنا و شهد رأيناها تفعل ذلك، و تفاجأنا لماذا فعلت هذا.

_ سيدي المدير، هل يمكنني إستعارة هاتفك

_ المدير: لماذا؟ هل ستكلمين جدك بعد عملتك هذه؟

_ لا، أنا لا أتكلم إلا بالأدلة

_ المدير: خذيه، لحظة أهذه ساعة ذكية؟

_ نعم، و انا صورت ما حدث و ها قد أرسلت لك الفيديو

_المدير: هذه الساعة ممنوعة، لا تأتي بها مجددا

_ حاضر سيدي.

إذ بالمدير يشاهد ما حدث، شهد و سندس هما من سكبا الزيت على الدرج، و كانت مكيدة لمايا

_ المدير: فسرا ما رأيته؟

_ شهد: آسفة سيدي المدير، ألاء تغار من مايا، و لأنها تأتي الأولى على القسم، و قد حرضتني عليها.

_ ألاء: كاذبة هي من حرضتني عليها.

_المدير: أتعرفين أني سقطت و إلتوت ساقي؟ لماذا لم تحذريني؟

_ بلى حذرتك، قلت لك لا أنصحك بالصعود على الدرج و لكنك لم تأخذ تحذيري على محمل الجد.

_المدير: حسنا، إنصرفي. أما أنتما معاقبتان بساعتي حجز.

غادرت المدرسة إلى البيت حينها، و لا أعرف ذلك الشعور الذي حل بي إذ بي تغمرني إبتسامة المكر

لأنهما حفرا حفرة لي و سقطا فيها، و لكن في نفس الوقت أشفقت على حالهما، لا أعرف لماذا تحملان كل هذا الحقد لي، عسى أن يهديهم الله ذات يوم .

_جدي: أين كنت؟ خفت عليك، لقد تأخرت.

_ طلبني المدير يحتاجني في موضوع، و لكن ما سبب خوفك علي

_جدي: لأنك لوحدك

_ لكن عندما كان جواد هنا، لم تكن تخاف علي

_ جدي: لأنه كان يرافقك لكل مكان

_ جدي لست ضعيفة لهذه الدرجة، و الآن إعذرني لا أستطيع مساعدتك عندي الكثير من الواجبات.

_ جدي: بالتوفيق عزيزتي، أتمنى لك النجاح.

ثلاث سنين كأنها قرون مرت علينا، و لازلت أتذكر ذلك اليوم، حتى أني لم أستطع التواصل معه ، لا أعرف ماذا جرى لهم، إن كانوا بخير أم لا، أتمنى أن يحفظهما الله.

.. و مرت الأيام بسرعة ليأتي يوم حصاد النتائج

_جدي: إجلسي يا مايا، لا تتوتري عزيزتي

_ و كيف لي أن أهدأ يا جدي تبقت ساعتين لخروج النتائج

_جدي: الهاتف يرن

_ سأرد عليه... ألو من معي، تمزحين أليس كذلك.. حقا، شكرا جزيلا لحضرتك.

و أخذت في القفز تارة و الرقص تارة و البكاء تارة أخرى... يا له من شعور.. لا أستطيع وصفه بين الكلمات

_ جدي: ماذا حدث؟

_ سكرتيرة الوزير أخبرتني أني الأولى على مستوى الوطن

_ جدي تغمره فرحة: حقا

_ نعم يا جدي، أحبك يا جدي

_ جدي: أريد أن أرقص شغلي الموسيقى.

_ لكنك كبرت على الرقص

_ جدي: لازلت في سن الشباب، نفذي ما قلت

شغلت الموسيقى و إذ بي أرقص أنا و جدي، فرحته بي كانت كبيرة، و من ثم توضأنا و صلينا ركعتين حمدا لله.

جميل شعور النجاح... و كأني عصفور طائر محلق في السماء... لا يهمه شيء من هموم الدنيا... و كأني رفرفت فخرا كالعلم... لا للأحرف وصف شعوري.. خليط بين الفرحة و التفاجئ.. مضاف لهما دموع الصدمة... جميل ما فعلته هذه المرة يا قدر

تواصلت فيما بعد مع جامعة في نفس البلد الذي يدرس فيه جواد و لكن ليست نفس المدينة، و أخذت أجهز أنا و جدي للسفر، مع أنه كان مصِّرا على البقاء في بلده الذي عاش فيه نصف عمره، و لكني كنت عنيدة أكثر منه. و لكن ما حدث بعدها كان رابع سكين يغرز قلبي... صبرا يا روحي صبرا..

قبل السفر بشهر و كنا لازلنا نختار ماذا سنأخذ ، و نجهز أوراقنا اللازمة.. إذ به يحدث ما لم يكن متوقع

_ جدي: مايا مايا مايا

_ جدي ما بك، أين دواءك؟ ماذا سأفعل يا رب؟

_جدي بكلمات ثقيلة يكاد يتلفظها: إن حدث لي شيء أتركيني و أكملي دراستك، عديني بذلك

_ جدي لا تقل هذا لن يحدث لك شيء

إتصلت بالمستشفى و حاولت أن أساعد جدي أعطيته دواءه و بقيت أتكلم معه خوفا من أن يغمى عليه

_ جدي: وعد؟

_ وعد يا جدي و لكن لا تقل هذا أرجوك لن يحدث لك شيء.

إلى أن وصلت سيارة الإسعاف، و نقلناه للمستشفى القريب

_ ما به جدي يا دكتور

_ الطبيب: سكتة دماغية هذه المرة

_ لا تقل هذا، لا لا لماذا؟

_الطبيب: الوضع حرج، في حالته 3 أيام

_ يا دكتور عملك أن تقدم الأمل لا أن تأخذه

_ الطبيب: للأسف لا نستطيع الكذب على أهالي المرضى

_ هل يمكنني رؤية جدي؟

_ الطبيب: نعم، يا ممرضة خذيها لرؤية المريض

ذهبت إلى جدي حينها منكسرة محطمة..

_ إستيقظ يا جدي، سأصبح وحيدة بعدك، و سيقولون تلك يتيمة، أرجوك يا جدي

أحسست نفسي ضعيفة.. غيم ظلام الخوف داخلي... جعل يخط شلال حمم في وجنتي تخلف رماد يشوههما... ألا يكفي أني ذقت مرارة التيتم... لكن حرقة الوحدة... ظلم يا قدر هذه المرة... إرحمني أرجوك... ها أنا أطاردك لتقبل أوراق حياتي و تخلصني من هذا العذاب... خذها أرجوك...

ألا يكفي فيضان الدموع الذي حطمني... و عاصفة الذكريات التي خربت جمال موطني.. و تلك الأصوات التي تصرخ داخلي كأنها زلزال دمار... لا تفعلها يا قدر أرجوك ليس هذه المرة..

خرجت من تلك الغرفة بفراغ كبير داخلي، فقد تركت جزء مني هناك

_الطبيب: أنصحك بالذهاب للبيت و العودة غدا

_ تمزح صحيح، لن أذهب و أترك جدي وحده هنا.

تقطعنا الممرضة: دكتور دكتور، سكتة ثانية و هذه المرة أخطر من الأولى

_ الطبيب: إلى غرفة الاستعجالات فورا

_ ماذا حدث؟

_الطبيب: لا نستطيع أن نخبرك الآن، الحالة غير مستقرة

_ يا رب لا تجعلني وحيدة

دخل الطبيب الغرفة و بقيت أجول في ذلك الممر ذهابا و إيابا، تذكرت يوم موت والداي، و بعد ساعة من الزمن خرج الطبيب

_ الطبيب: إن لله و إن إليه راجعون، حاولنا و لكن القدر قام بضربته الأخيرة.

و اذ بأشلائي تسقط مني.. و تنكسر إلى قطع... كل قطعة أحدُّ من الأخرى.. إستسلمت ركبتي لم تستطع حملي فأسقطتني... و كذلك عيني فإنفجر السد الذي تخفيه... ظلم يا قدر... أبي.. أمي.. جدي.. عشقني الأسود... فوهبني ميزاته... الظلام.. الوحدة.. الألم... و أضاف لهم اليتم...كل هذا و أنا أتحمل... لم يبق لي إلا أنت يا رب... حسبي الله و نعم

الوكيل...ظننت أن الزمن هذه المرة أشفق علي.. ظننت أنه سيفرحني و لو قليلا... لكنه القدر...

_ الطبيب: أنصحك بالذهاب للبيت، الصبر لك. غدا يمكنك إكمال الأوراق لأخذ جدك و دفنه، و من الأحسن تستعيني بأحد أكبر منك يساعدك.

_ المشكلة أنه لم يتبق لي أحد

_ الطبيب: أنا سأحاول مساعدتك، هذا رقم هاتفي إن أردت شيء كلميني

_ شكرا

و عاد جسدي المنهمك إلى مدينة الذكريات التي بصم فيها الأسود...هناك كانت أمي تجلس أمام تلك الشاشة الساحرة... و تلك الزاوية مكتب أبي ينهي فيه المهمات... ذلك المصحف كان لجدي يدرس فيه عبر الآيات... و ها أنا أقف وسط سراب مظلم ليتها تعود الذكريات... ليت الفوضى التي حدثت تنظم و تنغمس في عسل الفرحة و لو قليلا... لكنه دائما القدر... عنده طريقة لتغيير الأحداث... ظلم لن أنساه لك هذه المرة يا زمن...

بعد شهر...

_ نطلب من كل ركاب الطائرة، الاستعداد لهبوطها

مر الشهر كأنه دهر... غيوم الوحدة... زاوية اليتم...بحيرات الحزن... لم يكن بالشيء السهل... لو لم أفكر في وصيتي جدي الأخيرة لكنت أعتزلت العالم... فقد أقتربت خطوة نحو حلمي و لكن فقدت سندي في سبيلي... و ما فائدة الإكمال وحيدة.. لكن علي المواصلة ليته يكون بعد العسر يسرا...

وصلت إلى مبتغاي و كأنه عالم ثاني، جميل في الأشكال، و بشع في الأفعال، كان أول يوم لي، تعرفت على زميلتي في الغرفة ، إحدهما كان إسمها عبير، متقية كأنها عبير زهور الإيمان يرد الروح للأجسام، جميلة كقمر بدر، بتلك العينين المتلألئتين كجوهرتين أغلى من ثروة العالم كلها، رقيقة عذبة تستحي فيظهر وجنتيها تفاحتين حمراوتين و ابتسامتها كنسمة هواء صافي وسط دخان، و الثانية لمست قلبي كانت منال و هي صعبة المنال قوية الشخصية بعينيها الحدتين و لكنها كانت تمتلك إبتسامة بريئة و قلب طيب، و وجهها بظهوره يستحي منه القمر.

_ عبير: مرحبا أنا عبير

_ منال: أنا منال

_ تشرفت بكما و أنا مايا.

أدركت بعد أيام أن المسلمين في هذه المنطقة محتقرين، خاصة الفقراء منهم، فسمعت أن شاب غير مسلم أجبر فتاة على نزع حجابها، و رجل دعس إمرة حامل عن قصد فتسبب في موت روحين، لا رحمة لا شفقة و كأنهم عبدة الشيطان، و لكني لم أدرس كل فنون القتال و قرأت كتب القانون و تحقيق العدل لأسكت عن هذا، و لكن إظهاري له خطر، خطرت على بالي فكرة سأنتقم بطريقتي و أجعله سري الذي يخفيه ظلام الأسود.

الفصل السابع:

_ يا شباب، أول مرة نهزم بهذه الطريقة، ستة أشهر و نحن نبحث عن مجرمة و لم نعرف عنها شيء، إلا أنها بنت، كيف ذلك؟

_ آسف سيدي حاولنا مراقبتها و متابعة كل أفعالها و لكنها دائما تسبقنا بخطوة، و كأنها كائن غريب أذكى من كل البشر.

_ جواد أنت و مجموعتك موكلين بجمع معلومات عنها توصلنا إليها، أريدها هذه المرة، و لو جثة.

_ جواد: حاضر سيدي

_ و الآن إنصرفوا و باشروا في العمل

_جواد كيف وافقت كان يجب أن ترفض القضية أنا لم أر قط بذكائها، سرقت ما يقارب مليون دولار من حساب رجل الأعمال "علي" إلكترونيا و لم نعرف حتى إلى أين حولته، يعني مليون دولار أين أخذتهم؟،

حرقت مصنع المشربات الكحولية و تركت رسالة " الخمر مضر بالصحة و العقل و أهم شيء الدين و الأخلاق "، عذبت شاب لدرجة أنه فقد عقله و لم يعد ينطق إلا بكلمة واحدة"لن أعيدها"، إخترقت حساب قناة و خربت أساسياتها فإضطروا لإغلاقها و لم تفتح من ذلك الوقت، و هذا ما نعلمه فقط.

_ جواد: لا أصدق بمبدأ وجود جريمة كاملة، أكيد تركت خطأ، الرسالة مكتوبة بخط يدها؟

_ لا، مكتوبة بالكمبيوتر

_ جواد: و الشاب الذي قلت أنها عذبته

_ لا يستطيع مساعدتنا أخبرتك أنه فقد عقله.

_ جواد: هذا ما ينقصني، مجرمة عبقرية.

_ أظن أنها تدرس إعلام آلي أو شيء كهذا فليس الكل يعرف كيفية الإختراق الإلكتروني و خاصة بهذا الذكاء.

_ جواد: نعم يمكن ذلك، سنتفرغ و نبحث، هذه الفتاة خطر علينا.

بينما كان المحققين يبحثون عن دليل صغير يوصلهم إليها، كانت تبعد كل الشكوك عنها

_ عبير: مايا لا أحد يعلم بسرك إلا انا و أنت و منال، و لكن الشرطة فتحت لك سجل، أخاف أن يمسكوك

_ مايا: و هل السجل مسجل بإسمي، أكيد لا و الآن أصمتي لأن للجدران أذان.

إذ بمنال تدخل غاضبة، و تغلق الباب بقوة

_ مايا: أريد أن أفهم ماذا فعل لك الباب المسكين.

_ منال: آسفة لكني توترت قليلا

_ مايا: ما بك؟

_عبير: مشكلة أخرى من مشاكلها أكيد

_ منال: هذه المرة أنا خائفة حقا.

_ مايا: أنت تخافين؟، إذا الموضوع كبير هذه المرة

_ منال: إبن رجل عصابات يتبعني، و اليوم ضربته فقال لي ستعودين لي تترجينني كي أسامحك.

_ مايا: و من يحسب نفسه هذا، أفكر أن أربيه

_ عبير: إتفقنا أن تختفي هذه الأيام

_ مايا: حاضر سيدتي، هيا لأن وقت العمل سيبدأ بعد ربع ساعة فقط.

_ منال: ما يحيرني متهمة بسرقة مليون دولار تعمل بعد المداومة في مطعم لا تجني منه حتى ألف دولار.

_ عبير: تحركي بصمت.

في هذه الست أشهر التي مرت، أدركت أن كسر القانون كان خطأ و لكن تحقيق العدل كان هدفي و هو نبيل، و مثلما قالت منال متهمة بسرقة مليون دولار لكني لم آخذهم لنفسي، أذكر ذلك اليوم عندما توقف إبن السيد علي و كسر سيارة ذلك الرجل فقط لأنه مسلم، تلك السيارة كانت مفتاح رزقه، و ما فعلته عن أمري، ذلك ما لم تستطع الشرطة فعله بسبب نفوذ أبيه. تتبعت الرجل حتى عرفت بيته، و بعد إختراقي لحسابات البنك و كذا كاميرات المراقبة و تحويل ذلك المال إلى حسابي الوهمي ،و في دقائق قبل أن يدركوا حتى دخلت بذلك الأسود الذي يحجبني و أخذت تلك الأمانة، و في ظلام الأسود تركت المال على باب ذلك الرجل ما يكفيه لإصلاح سيارته و قوته لثلاث أشهر، و كذلك لإحدى البنات التي دائما ما أجدها تبيع على حافة الطريق، فأردت أن تفتح محلا لها يحميها من قساوة

الجو و الناس، ساعدت بذلك المال الكثير من الناس، أعرف رجل الأعمال ذلك لم يتأثر بفقدانه المبلغ و لكن من حصلوا عليه فرحوا كثيرا. و ليس هذا فقط، أتذكر حين نزلت للسوق ذلك اليوم ما رأيته جعل مما فعلته قليل، أطفال مراهقين كانوا يتحرشون في البنات لرؤيتهم ذلك في قناة سيئة تعلمهم الفساد من صغرهم، ما جعلهم يجربونه على الواقع، و لم يكن بالشيء الصعب علي إغلاق ناشرة التخلف الأخلاقي تلك.

أما ذلك الشاب فيستحق ما حصل له، إمساك صور البنات و تهديدهم من أجل أن يشتري شرفهن بكرامتهن، أتذكر ذلك اليوم..

_ منال: مايا أتعرفين ذلك الشاب مايك؟

_ مايا: نعم، رأيته قبلا في المطعم كنت أريد ضربه، لكني لا أعرف كيف تمالكت أعصابي.

_منال: الحقيقة أنه يهدد أربع بنات من أجل صور لا أعرف من أين أتى بهم.

_ مايا: ماذا تقصدين؟

_ منال: أعرف إحداهن، فتحت قلبها و حكت لي، قالت لي سؤال لا يزال في بالي "أيعقل أن أبيع شرفي بالمجان من أجل كرامتي؟ ".

ما فعلته لذلك الشاب كان عقاب صغير و درس للشباب الفاسد. و كذلك مصنع المشروبات الكحولية، تلك التي تسببت في كارثة إغتصاب أخ لأخته لعدم وعيه، فإنتحرت و كذلك هو بعد وعيه بما فعل، أليس هذا بقليل ما فعلته. فقد حرقت مصنع واحد و لو كان الأمر بيدي لحرقتها كلها.

لا أعرف إن كنت على حق أو على خطأ، و لكني أعرف أن هدفي نبيل، ليت الله يسامحني إن كنت مخطئة، إنما الأعمال بالنيات.

_ منال: آه ما هذا؟ خذي أنت الطلب لتلك الطاولة لأني إن ذهبت أنا سأفعل مشكلة.

_ أهو ذلك الذي يتبعك؟

_ منال: نعم، هو بنفسه

_ حسنا، حسنا. لا لن آخذها خذيها أنت، أريد سببا لأخرب ملامحه.

_ عبير: مايا إعقلي، سآخذها أنا

_ رؤى: سآخذها أنا و أنتم أبقوا هنا تتشاورون على الأمر حتى يطردكم المدير

كانت رؤى زميلتنا في العمل، لنسمعها تصرخ فجأة، إذ به ينزع حجابها و يمزق ملابسها أمام الجميع و هو يردد" لا أعرف لماذا تخفين هذا الجمال عنا؟" و حينها طرده المدير، لنجد أن رؤى دخلت في حالة نفسية لا توصف تبكي بصمت فقط.. و لكن لن أمرر ذلك.

_سيدي المدير، أحس بمغص منذ أيام أيمكنني الذهاب للطبيب، تعرف أني في الصباح أدرس و في المساء أعمل لم أجد وقت

_المدير: حسنا يا مايا لكن بسرعة لا تتأخري

_ شكرا

خرجت من المطعم لحقتهم إختفيت لبعض دقائق لأغلف نفسي بذلك الأسود، ليختاروا بصدفة مكان يساعدني قبل أن يساعدهم، كان المكان مهجور و هم ثلاثة شباب، إخترت صخرات ممتازة إذ بي أصيبهم ليغمى عليهم بعدها قيدتهم مع الشجر و أغلقت أفواههم، لأخرج غل الزمن فيهم، حتى أحسست براحة تغمرني، تركتهم معلقين في ذلك المكان، و

أخفيت دراجاتهم، و رجعت للعمل و كأنه لم يحدث شيء.

_ منال بصوت خافت: ماذا فعلت؟

_ الواجب فقط

_ منال: جميل يستحقون ذلك

و بعد ثلاثة أيام، إذ بشابين يزوران المطعم

_ منال: م..ما..مايا

_ ماذا حدث؟، لماذا أنت خائفة و كأنك رأيت ملك الموت

_ منال: إنهما محققان، سمعتهم يقولان أنهم اليوم وجدوا الشباب و نقلوهم إلى المستشفى في حالة خطرة

_ و من متى نخاف من الشرطة، ستفضحيننا ذات يوم.

_ منال: ولكني سمعتهم يقولون أنهم لم يجدوا دليل، و المشتبه الوحيد هي الرصاصة.

_على الأقل اللقب يليق بي، تنحي جانبا أنا سآخذ الطلب.

أخذت القهوة و العصير إلى تلك الطاولة، و كنت أريد سماع بعضا من حديثهما، و لكن فجأة..

_ جواد هذا أنت؟

_ جواد: مايا كيف أتيت إلى هنا؟

_ و ما شأنك؟ لا تكلمني.

_ جواد: مايا لا تذهبي أرجوك، لماذا أنت غاضبة؟

_ أترك يدي سيدي، أنا أعمل و ليس وقت للحديث

_ جواد: مايا لماذا تفعلين هذا؟ صحيح أنا لم أتصل بك و لكني بعد وصولي إلى هذه المدينة فقدت هاتفي، و لم أجد كيف أحدثك؟

_ حسنا، إقتنعت.

_ جواد: كيف حال جدي، أ أتى معك إلى هنا؟

و هنا و كأنه طعنني بخنجر الذكريات... فسقطت تلك اللؤلؤة لتضيف ألمي للقهوة... فتنسكب كماء بحيرة مالح بصم الأسود فيه... لم يكن عليه إلا أن يفهم من تلك الملامح التي تحكي ما حدث...

_ جواد: لا تقولي

_ إن لله و إنا إليه راجعون

_ جواد: ألا تستطيعين ترك العمل، أريد أن نتحدث قليلا

_ لا، نتقابل بعد العمل.

_ جواد: حسنا.

_ زين: ألن تعرفني على الفتاة.

_ جواد: مايا صديقة طفولتي، و هذا زين زميلي و صديقي.

_ تشرفنا سيد زين.

_ زين: لا أحب الرسميات، ناديني زين فقط، لكن أريد منك طلب.

_ تفضل.

_ زين: صديقتك تلك التي كانت هنا ثم ذهبت، خطفت قلبي، أريد إرجاعه.

_ القلب يا زين إن ذهب لن يعود.

_ زين: و كيف سأعيش مع هذا الفراغ، أريد تلك الفتاة.

_ نظرت فيه بنظرة حيرة و غضب: ما قصدك؟

_ زين: لا تفهميني خطأ، إن وافقت أريد أن نتعرف على بعض، لأنهي هذا بعد موافقتها بالحلال.

_سآتي بها معي إن أرادت ، أين تريدون أن نلتقي؟

_جواد: على نسيم البحر الهادئ

_ إذن نلتقي بعد العمل بإذن الله

ذهبت لأخبر منال بما حدث.

_منال: أخاف أن يتركني مكسورة في نصف مشوارنا

_ و أنا ماذا أفعل؟ سأكسر عظامه؟

_ منال: بإسمك ربي، حسنا سأجرب حظي

ذهبنا لنلتقي أمام ذلك الأزرق اللامع، الذي يخطف الآلام و يشاركنا الأحزان.. لنفترق أنا و جواد لمكان و زين و منال عكسوا إتجاهنا.

_جواد: ليس جدي فقط، أصبحنا وحيدين

_ لا تقلها جواد ما بها خالتي ميسة؟

_ جواد: خطفها الخبيث بين يدي و لم أستطع فعل شيء، حتى شراء بعض الدواء لها و كله بسبب المال.

أحسست بطعنة الزمن الرابعة... لماذا تعذبيني و ترفض أن تريحني من الدنيا يا قدر... أظن أن الدموع بحر عندي لن تكتمل..

_ جدي كانت سكتة دماغية أصابته.

_ جواد: سنفتقدهم كثيرا، فقد تركوا فراغا داخلنا.

_ أكيد

_ جواد: مايا أعرفه أنه ليس الوقت المناسب و لكن أتقبلين الزواج بي

_ أجبته بإبتسامة مفاجأة: ماذا؟

نظر إلي نظرة حيرة و رجاء، كأن عيناه تقولان قولي نعم فقط..

_حسنا، أقبل و لكن ليس الآن، لا أريد الإختيار بينك و بين دراستي

_ جواد: حسنا سأنتظرك، ماذا تدرسين؟

_ طب، أريد أن أصبح طبيبة

_ جواد: أنتظر 4 سنوات أليس كثير؟، ما رأيك أن أتزوج و بعد إكمال دراستك أطلق و أتزوجك أنت

نظرت فيه نظرة حادة، فقفز و إبتعد هاربا

_ تعال إلى هنا سأقتلك، و هكذا أتخلص منك أنت الآخر و أبقى مرتاحة بوحدتي

_ جواد: أمزح فقط يا حبيبتي

_ لست حبيبتك، أظن أنك إنحرفت بعد عيشك في هذه المدينة.

_ جواد: للأسف كان يجب أن أتأقلم معها.

_ هيا تأخر الوقت، أريد أن أرتاح لدي محاضرة غدا

_ جواد: كرهتي مني بهذه السرعة، هيا إذن و سجلي لي رقم هاتفك و عنوان إقامتك لا أريد أن أضيعك بعدما وجدتك

_ حسنا، و منال.

_جواد: إتصلت بزين سنلتقي أمام السيارة.

وصلنا إلى غرفتنا فتحت الباب لأجد نظرات حادة تستقبلنا

_ عبير: بقيت لوحدي إذا..

_ منال: لم تخبريني كيف تعرفين جواد؟

_ أصمتا هذا صديق طفولتي جواد، لم نلتق منذ أعوام مضت

_ منال: على فكرة صديقه زين رائع، أحسست أنه صادق معي، أخبرني أنه سيتزوجني بعد أن أكمل دراستي.

_ مبروك، و أنا كذلك.

_ عبير: بقيت إلا أنا، ما عليه سيأتي نصيبي، أظن أنني معجبة بالدكتور الذي يدرسنا، سأفكر في طريقة لأتكلم معه.

_ منال: قصدك عصام

_ على فكرة سألني عنك، سأعطيه رقم هاتفك وأنهي الأمر.

_ عبير: لم تخبريني، متى؟

_ صباحا، أصمتي هاتفي يرن... على فكرة عمره طويل سيتعبك معه

_ عبير: ردي و إفتحي مكبر الصوت

_ ألو

_ عصام: آسف أني إتصلت بك في وقت متأخر، و لكني لم أستطع النوم و أنا أفكر في صديقتك عبير.

_ تكلمت معها في الموضوع، أخبرتني أنك شخص طيب و أنها ليست لديها مشكلة و لكن لا تريد الدخول في علاقات محرمة.

_ عصام: آ حقا، و أنا أيضا، و قد تأكدت من تربيتها، أخبريها إن وافقت سأخطبها من أبيها و أنتظرها حتى تكمل دراستها لأني لا أريد أن تضيع حلمها.

_ حسنا، شكرا لك بالتوفيق

_ عصام: العفو، و آسف مجددا

_ عبير: أ أرقص أم أصلي أم أبكي، أمسكوني سيغمى علي

_ مبروك لنا، على فكرة العرس سيكون يوم واحد، لكي نفرح مع بعض.

_ منال: عني أنا موافقة

_ عبير: هذا أكيد

_ ستمر الأربع سنين بسرعة لا تخافوا

و بعد أربع سنوات أتى اليوم الموعود، و كل يوم مر فيه كان يكسب مايا شهرة كبيرة لدى الشرطة، و المشكلة أن حبيبها هو من يبحث عنها.

_ عبير: بسرعة الشباب ينتظروننا، ماذا سيقولون عنا؟

_ منال: نحن عرائس يجب أن نأخذ وقتنا في تجهيز نفسنا

_ بنات لن نأخذ شهاداتنا و نستطيع العمل إلا بعد سنة كاملة ، أليس بكثير؟

_ منال: نحن نفكر هنا و أنت تفكرين هناك، إفرحي أنت عروسة.

لأتذكر وحدتي و تسقط من عيني تلك القطرات الفضية فتخرب تلك الألوان التي رسمتها منال على وجهي..

_ بنات أنا وحيدة من سيكون شاهدي.

_ منال: لا تحزني و لا تفكري هكذا حبيبتي و زين ماذا يفعل؟

_ عبير: و إن لم يكن زين هناك عصام، لا تبكي فأنت فتجرحيننا بذلك.

_ منال: عندي أكثر من ساعتين و أنا أضع المكياج لنا و في الأخير أجد واحدة تبكي و الأخرى تتأثر معها، أصمتا الآن أنا من تتكلم

لننفجر أنا و عبير بالضحك

_ حاضر سيدتي سنصمت.

_ منال: أحسن.

كان ذلك اليوم من الأجمل الأيام حيث أصبحنا مسؤولات عن أزواجنا.. و أكيد بعد أعوام سنصبح مسؤولات عن أولادنا..

و مرت الأيام ليأتي عيد زواجنا الأول، ليفاجأني جواد بأجمل هدية

صورة لعائلتنا جدي، خالتي، هو و أنا، كانت أجمل هدية بالنسبة لي، و كانت كذلك مخبأ أسراري. أما أنا كانت لي مفاجأة أخرى و لكني أخفيتها لوقت آخر... كنت أريد مشاركة جواد سري الأسود و لكني لم أكن متأكدة من ردة فعله فإلتزمت الصمت.

_ عبير: أهلا

_ منال: ألو، مرحبا

_ كيف حالكن؟، أين إحتفلتن باليوم المميز ؟

_ عبير: أنا في دبي، عصام حصل على عمل هنا و كان الأمر مفاجئ لهذا لم أخبركن.

_ لا تخافي أظن أني سألحقك في القريب العاجل

_ منال: إلى أين أنت ستبقين معي، ألا يكفي أن زين سافر و تركني لوحدي

_ أمزح فقط

_ عبير: مايا ستعقلين أم لا؟

_ ضربة أخيرة و سأختفي

_ منال: الضرب مضر إحذري

_ لا تخافن، و الآن وداعا جواد عاد إلى البيت

يا ترى أ أفاجئ جواد بخبر حملي، لا ليس بعد.

_ جواد أنا سأذهب إلى منال فهي لوحدها

_ جواد: حسنا

و عندما خرجت من البيت سمعته يقول لأحدهم في الهاتف " قم بلمستك "، لكني لم أفهم ما يقصد، ربما كان يتحدث في العمل، لا يهمني. و لكن لا أعرف لماذا أحس هذه الأيام أن جواد يشك بي، لا بل

تصرفاته أيضا أصبحت غريبة، يجب أن أجد حل لإحساسي هذا..

_ منال: أهلا

_ هل أنت لوحدك؟

_منال: نعم

_ منال سأترك لك بعض الأشياء هنا، لأني أصبحت أشك في جواد هذه الأيام، و كأنه تغير

_ منال: تأثير الحمل فقط، لا تفكري هكذا

_ هذه أوراقي اللازمة لعملي و بعض من المال الذي جمعته و جواز سفري و بطاقة هويتي، إحتفظي بهم

_ منال: و اذا سألك جواد عنهم ماذا ستقولين له؟

_ تركت نسخ عنها في البيت، أتعرفين سمعت رجل عصابات يتكلم عن صفقة مخدرات ستحدث في الليل سيكون فيها 5 مليون دولار، أريد أن أخاطر هذه المرة و أساعد بعض الناس هنا ثم أعتزل نهائيا لأن الخطر سيهدد أبنائي و أنا لا أريد هذا، ما رأيك؟

_منال: خطر عليك و بالإضافة أنت حامل لا تنسي هذا؟

_هذه المرة فقط

_ منال: لماذا تسألينني إن كنت مصرة، الله معك حبيبتي.

_سأتصل بجواد على أساس سأبيت عندك

_ منال: و كيف ستخاطرين بدون سيارة أو شيء

_ إشتريت دراجة نارية ليست معروفة لمن سأذهب بها، جربتها هي سريعة و تساعدني.

_ منال: لست مطمئنة لهذا الشيء إحذري.

_ أين إبنك؟ زوج بنتي المستقبلي؟

_ نائم في الغرفة.

و في ذلك الظلام الأسود مع قطرات المطر الألماسية

_ منال: أنصحك أن لا تذهبي، فالجو لا يبشر بالخير

_ الخير دائما موجود في كل الأجواء

إقتربت منهم و أخذت أراقب بصمت و إذ بهم يضعون حقيبتين، أكيد الصغيرة فيها المخدرات و الأخرى الخمسة مليون. جهزت نفسي إذ بي أمر من أمامهم وسط ذلك الجو المكهرب كالبرق، لأجد نفسي محاصرة بسيارات الشرطة، لماذا لم أتيقن أنه

فخ، ذهبت للمصيدة بنفسي، و لكني لبؤة لن أستسلم، تركت الحقائب، و بقيت أدور في مكاني بتلك الدراجة، و المفاجأة جواد معهم.

_ جواد: أيا من كنتي إستسلمي أحسن لك و لنا، و بالإضافة أعرف أنك مايا

إذ بي أتفاجئ جواد يسلمني بيده، بعد كل الذي كان بيننا، و لكن لست أنا من تستسلم، ضغطت على مقود الدراجة و مررت من فوق السيارة أمام أعينهم، كان همي الوحيد أن أنقذ الروح التي تنمو داخلي، محاولة تجنب الرصاصات التي تلاحقني، و لكن كيف أهرب من من هو صديقي و حافظ حركاتي، لأجد نفسي أصبت في كتفي، و الحمد لله لأنه أنزل ذلك الغيث و كأنه يدعمني، فررت منهم لأدخل وسط الغابة، لتعود بي القصة إلى بيت الخالة فاطمة..

الفصل الثامن:

_الخالة فاطمة: و الآن ماذا ستفعلين يا بنيتي؟

_ لازلت متفاجئة كيف أدرك جواد أن هذه أنا ، و قد مر شهر و أنا عندك هنا، و لا أعرف حتى ما جرى، كتفي ارتاح بما يكفي، أظن أن علي زيارة ذلك المكان مجددا.

_ الخالة فاطمة: لماذا تشكين في زوجك؟ يمكن أنه لا يعرف، أو أنه توقع فقط أو أنها مايا أخرى.

_ لا أنا متأكدة أنه عرف، و أظن أن له علاقة بعملية الاحتيال التي أمسكت خيطها و لم يساعدني الوقت لأفضحها.

_ خالة فاطمة: لكن لماذا أنت متأكدة؟

_ ذلك اليوم لم أراه يقف ورائي و فتحت الفيديو في الكمبيوتر، و عندما تيقنت لوجوده أحسست بخوفه بعد تعرقه و ثقل لسانه.

_ الخالة فاطمة: الله يهديه عزيزتي.

_ خالتي تعرفين أنه لم يبق لي أحد و قد إرتحت إليك، أتذهبين معي لنبتعد عن هذا العالم القاسي؟

_ خالة فاطمة: نعم يا إبنتي، كنت أنتظر من يقول لي كلامك.

_ خالة فاطمة ألديك جواز سفر

_خالة فاطمة: نعم فقد زرت العائلة الشهر الماضي.

_ جهزي أوراقك سأعود لك كي نسافر

إتجهت إلى بيت منال فتحت الباب بطريقتي و بقيت أنتظرها، دخلت لتتفاجئ

_منال: صديقتي تعالي إلى حضني ظننت أنك مت، و لكن كيف دخلتي؟

_ لا يهم، زوجك هنا

_ منال: لا يزال مسافر

_ و ما أخبار جواد

_ منال: لم يتفاجئ عندما كذبت عليه و قلت أنك ذهبت لعبير.

_ أريدك أن تلهيه بينما أذهب إلى البيت أريد شيء ضروري نسيته هناك

_ منال: حسنا، إن وجدتيه آخر مرة وجدته يبحث بين أشياءك و كأنه يبحث عن كنز

_ جيد، أكدتي شكوكي

_ منال: و لكن كيف ستدخلين إلى هناك؟

_ دائما هناك مفتاح إحتياطي للطوارئ

_ منال: و لكنه غير القفل

_ مثلما دخلت إلى هنا، سأدخل إلى هناك

ذهبت إلى البيت فتحت الباب فأستقبلتني الصورة الكبيرة لعائلتنا، و منها عرفت أنه لم يجد ما يريده فهي قلب سري الأسود، أخذت بطاقات الذاكرة التي أخبؤها وراءها و دخلت إلى غرفتي لملمت ملابسي في حقيبة و خرجت، أكيد لن أترك له ذكرى مني.

_ منال: هذه أنت و أخيرا.

_ حاسوبي المحمول لا يزال معك

_ منال: نعم

اذ بي أجد أن جواد مشترك في تلك الإحتيالات، دق الباب بقوة.

_ لا تفتحي، أعطيني كل الأوراق و المال الذي خبأتهم عندك و هاتفي

_ منال: خذي، و إرحلي من باب الحديقة و خذي حذرك

_ حسنا إلى اللقاء

خرجت من هناك بسرعة، و كما ظننت، جواد أتى يبحث عني. توجهت إلى مكان عام، و تأكدت أن لا أحد يعرفني، فتحت قناة في كل مواقع التواصل الاجتماعي، و ماهي إلا دقائق معدودة حتى صارت أشهر قناة، مليون مشاهدة و لا تزال في تزايد. حملت نفسي إلى بيت الخالة فاطمة بعدما حجزت تذكرتي طائرة إلى دبي. كنت أعلم أن جواد لا يملك عني أي دليل و حتى إن إتهمني لن يصدقوه، لكن جرح خيانته لي بهذه الطريقة، آه يا زمن كفايا دروس، أريد قسطا من الراحة.

أتعلم يا إبني يقولون عني قوية.. و لكنك أقوى مني.. فبعد كل ما ذقت لازلت متعلق بالحياة .. أنت دعمي الوحيد الآن.. لأنه لم يبق لي أحد غيرك.. أبي..أمي..جدي..خالتي ميسة..و الآن جواد أليس هذا ظلم... ربما يوم موت والدي لم أحزن كما الآن.. خنجر جواد كان حاد هذه المرة لدرجة أنه خرب جمال حبه في قلبي.. على الأقل عندما كنت صغيرة... ألجأ دائما للدموع و صراخ لإخرج ما بداخلي... هذا ما

فقدته الآن بعد ما ذقت ما يكفي من جرعات الهموم فجعلتني أكبر من عمري بكثير...

و عندما حان وقت الرحيل، و لم يتبق إلا دقائق، لإنطلاق الطائرة، إتصلت بمنال لأتأكد مما حدث بعدي..

_ منال: ألو و أخيرا إتصلت

_ آسفة، ماذا حدث؟

_ منال: كما توقعت، أتى يسأل عنك و رفع المسدس في وجهي، و لكن ما هي إلا دقائق و أنا أنكر رؤيتك حتى أتت الشرطة و قبضت عليه، فأضفت له شكوى أخرى لأخلصك منه، محاولة قتل.

_ ليته يعود جواد الذي عرفته بعد قضائه مدة في السجن.

_ منال: أتمنى ذلك عزيزتي، لا تحزني لو كان يستحقك لكان قدرك.

_ أتعرفين أني إذ لم أتأكد من غدره لي، ما كنت أفكر حتى أن أفعل ما فعلته معه.

_ منال: سألت محامية صديقتي، أخبرتني أنه أقل شيء سيقضي عشرين سنة في السجن.

_ أصلا لا أريد أن يكبر إبني مع أب كل همه المال، وداعا سأشتاق إليك.

_ منال: و أنا كذلك عزيزتي.

تركت تلك المدينة مع فراغ كبير.. كل سنة فيها خطفت جزء مني... و لكن دائما يبقى عندي أمل... فبعد العسر يسر..

وصلنا إلى وجهتنا لأجد صديقتي تستقبلني في المطار.. ذهبت معها إلى بيتها..

_ عبير: أهلا عزيزتي، أهلا خالة، سمعت ما حدث، كنت خائفة عليك، الحمد لله أنك أتيت

_ كيف حالكم، هل تستقبلونا لأيام حتى نجد مكان

_ عصام: أكيد و لو، البيت بيتك

_ يا دكتور عصام، ألا تستطيع أن تجد لي عمل، في مستشفى أو عيادة.

_ عصام: بالطبع إرتاحي يومين، و أعطيني سيرتك، سأحصل لك على عمل

_ شكرا جزيلا

و بعد أيام من الراحة توجهت لأعمل في مستشفى هناك، بعد أن ساعدني عصام.

باشرت العمل بعد 3 أيام، و في أول راتب لي إستأجرت بيت.

_ خالتي إجمعي أشياءك إستأجرت بيت صغير مفروش يكفينا نحن الإثنين

_ عبير: لماذا أكرهت منا بهذه السرعة؟

_ لا و لكن أنت و زوجك و إبنتك الحلوة أسرة جميلة، لا نريد أن نثقل عليكم سنزوركم بين الحين و الآخر.

_ عبير: حسنا عزيزتي، المهم راحتك.

و بعد إنتقالي، أحسست أن ما فعلته أحسن لنا و لهم، فقد أخدنا راحتنا، أنا و الخالة فاطمة.

_ خالتي فاطمة

_ خالة فاطمة: نعم عزيزتي، الله يدوم فرحتك، أبشري، لم نسمع خبر مفرح منذ مدة.

_ أنا حامل في توأم

_ خالة فاطمة: ألف مبرك، تبارك الرحمن، ربي يحفظهم، ألم تر جنسهم؟

_ إحدهما ذكر و الأخرى أنثى

_ خالة فاطمة: ألم تشتهي أي شيء عزيزتي أطبخه لك.

_ شيكولاطة و بيتزا حارة

_ خالة فاطمة: بنات آخر زمن، نحن كنا نشتهي الكسكس و الفواكه، و أنتم تشتهون البيتزا.

_ لسنا نحن الأطفال الذين في بطوننا هم من يشتهون.

_ خالة فاطمة: لا تتركي نفسك إشتري ما إشتهيت له.

_ حسنا لا تخافي يا خالة

و بعد ثلاث أشهر، إقترب موعد رؤيتي لأحبابي، نعم أولادي و لكن هذا المرة القدر كان جميلا معي

_ دكتورة مايا، توجهي للغرفة الخامسة الطابق الثاني

_ حسنا، دقيقة فقط

توجهت نحو الغرفة إذ بي أجد رجل كبير في السن سقطت له مفاتيح السيارة

_ لا تتعب نفسك يا عمي، سأحمله

_ كيف ذلك؟ لم نتربى أن نجعل حامل تحمل لنا ما سقط منا

_ شكرا، كيف أساعدك يا عم؟

_ إسمي أحمد، رأسي يؤلمني هذه الأيام، ما تسبب في إغمائي عدة مرات، و لم أجد الوقت بسبب عملي لكي آتي لأفحص

_ عمي أحمد يعني كم من الوقت و أنت تعاني من هذا الألم؟

_ العم أحمد: شهر

_ عمي أحمد غفلت على نفسك، لا أريد أن أخيفك، و لكن يجب أن تهتم بنفسك

_ العم أحمد: ليس لي من يهتم بي

_ أنا هنا إن أردت شيء أخبرني فقط، سأعطيك بعض التحاليل و بعدها سأتأكد

و مر الوقت، في الغد

_ العم أحمد: أهلا يا بنيتي لم أسألك عن إسمك

_ إسمي مايا يا عم

_ العم أحمد: هذه التحاليل التي طلبتيها

إذ بي أفتح الورقة.. فتسبقني دموعي بالإجابة.. لم أستطع التكلم... أحسست أن لساني إنعقد فجأة.. لأتذكر فقدان أبي و جدي فجأة.. فينفجر ذلك السد داخلي

_ العم أحمد: لا تبكي يا إبنتي، أحسست بذلك من الأول، كم تبقى لي

_ 3 أشهر يا عم

_ العم أحمد: أنت تجرحنني يا مايا، أنا المريض و لم أتأثر مثلك

_ لا تلمني يا عم فأنا يتيمة و وحيدة ليس لي أحد، و قد تذكرت جدي بمعرفتك، و انا أحس أني أفقد جدي للمرة الثانية

_ العم أحمد: نصحوني بطبيبة خاصة، أتعملين عندي لن أجد أحد بحنيتك فالإبن في مكان و البنت في مكان و زوجتي خطفها الزمان.

_ ليس عندي مشكلة يا عم.

_ العم أحمد: أنا صاحب شركة صوفي للتصنيع الهواتف.

_ سأجرب أخذ عطلة مرضية، و سأعمل معك يشرفني ذلك يا عم.

_ حسنا، سأنتظرك.

و أخذت إجازة بالطبع

_ عمي التوتر يؤثر عليك سلبا، لا أنصحك به

_ العم أحمد: هناك خطأ في وحدة الهاتف الذي سيصنع كآخر تصميم لهذا الشهر، لا أستطيع حله

_ يمكنني المساعدة

_ العم أحمد: أنت طبيبة أو إني مخطئ

_ هل أخبرك بسر

_ العم أحمد: نعم، تفضلي

_ أنا تلك المخترقة المظلمة التي لا تزال تحت البحث

و قصيت عليه قصة سري

_ العم أحمد: الجدران لها أذان، من الآن صار سري مثلما هو سرك.

و لم يأخذ مني إلا دقائق حتى وجدت الحل و حسنت جودة الهاتف.

_ العم أحمد: أتعرفين تمنيت إبن يعتني بي مثلك و لكن رزقني الله بنت و ولد يريدون إلا مصلحتهم.

_ يمكن الحياة غرتهم مثلما غرت زوجي، فتغير كأني لم أعرفه قبلا.

_ العم أحمد: ليل صار طبيب جراح لكني لم أراه منذ أن تخرج قبل خمس سنوات، و ندى كانت تهتم بالموضة فخرجت إلى لندن و هي مصممة أزياء تعمل مع المشاهير، كنت أتمنى أن يكون ليل تقي عديني أن تسمي إبنك ليل و تعلميه أصول الدين، أثق في تربيتك له.

_ حاضر يا عم، لكن لم أراك إتصلت تخبرهم عن مرضك؟

_العم أحمد: الأبناء الذين لا يكلفون نفسهم بإتصال هاتفي للإطمئنان عني، لا أريدهم.

_ عمي لا تقل هذا

و فجأة كاد أن يغمى علي

_ العم أحمد: الظاهر أنك تعبتي اليوم، يمكنك العودة للبيت و شكرا

_ حاضر عمي إعتني بنفسك

و تأتي لتمر الأشهر ليأتي يوم يحرق قلبي

_ عمي أحمد ما بك، ألو سيارة إسعاف بسرعة إلى شركة صوفي لتصنيع الهواتف.

_ العم أحمد بتلك الكلمات التي يكاد يتلفظها : لا تحزني يا إبنتي، فأنا مفارق الحياة اليوم لا محال

_ عمي أحمد أذكر الله، ردد الشهادة

_ العم أحمد: لا إله إلا الله محمد رسول...

_ عم أحمد إفتح عينيك، لا أرجوك، إن لله و إنا إليه راجعون.

أحسست ذلك اليوم أن للزمن عداء معي.. فهو يصفي حسابته معي...و كل مرة يترك جرح يقتلني... ليته يلطف بي قليلا.. لم أحس إلا و تلك القطرات المالحة تخط خطوط سوداء في وجهي... يكفي يا زمن أرجوك... لن أتحمل طعنة ثانية... فكل مرة

تطعنني تخلف جرحا يقتلني ببطئ.. توقف عن إطلاق رصاصات حزنك نحوي.. توقف أرجوك...

_ عبير: ما بك صديقتي؟

_ توفي العم أحمد، أنا ذاهبة إلى جنازته ليس بيدي حيلة أخرى إلا الدعاء له.

_ عبير: لست بخير، إنتظريني سأذهب معك

و في الجنازة... رأيت من أحسسته عوضني عن سنين عمري مضت.. جثة هامدة... لا كلام لا إحساس... و بعد كل هذه القصور التي حصلها... سيلقى من الدنيا شبرا يستقبله... و كلنا سنلحقه.. إنا لله و إنا إليه راجعون..

_ عظم الله أجركما في أبيكما

_ ليل: ثبت الله اجرك

_ ندى: أنت طبيبته أليس كذلك، لماذا لم تخبرينا عن مرضه؟

لتسقط تلك العبرات و يا ليتها تعبر و تمر لبعيد عنا

_ أباك لم يرد إخباركم، و لا أريد التناقش في هذا الموضوع، لماذا لم تروه قبل مرضه؟ أين كنتم؟ لو

لي أب مثله لما تركته لحظة من عمري؟ لم تسألا عنه و هو حي؟ و تسألان عنه بعدما خطفته المنية؟

_ ندى: آسفة يا أبي حقا آسفة

_ ليل: صحيح، و لا ينفع الندم الآن و لا الأسف، فقد إلتهينا بالدنيا حتى أُختطِف أبينا من أمام أعيننا.

و إذ بها تمر ثلاثة أيام لموت عمي أحمد...

_ ألو، من معي؟

_ أنا محامي السيد أحمد أريدك أن تحضري لوصيته الأخيرة في بيته

_ و أصلا ما دخلي أنا؟

_سيدة مايا هذه كانت وصية المرحوم

_ متى آتي؟

_ اليوم على الساعة الثالثة مساءا

_حسنا

لم أكن أعرف سبب ذكر عمي أحمد لي في الوصية... و لكن كان علي الذهاب..

_ المحامي: إجتمعنا اليوم هنا و قبل أن أفتح الوصية سأقول لكم أن والدكم هو من قدم لي الوصية بيده، و أعرف أنكم ستتفاجؤون و لكن يبقى هذا رأي أبيكم

_ ندى: أعرف أن أبي أحس أن طبيبته عوضته عنا، و لن أتفاجئ إذا وجدته كتب كل الأملاك لها، هي فتاة طيبة و تستحق.

_ ليل: مثلما قالت ندى، تكلم نحن نسمعك، و أصلا لا يهمنا المال فقد ضيعنا ماهو أغلى منه.

_ المحامي: أبوكم كتب الشركة و البيت الذي تقفون فيه لمايا، و خمس و عشرين مليون دولار لكل منكم و قصر في لندن لسهر و آخر هنا لك يا ليل، و ترك هذه الرسالة

_ ليل: أنا سأقرؤها،" أعرف أنكم تقرؤون رسالتي بعدما خطفتني المنية، و أعرف أنكم لم تتأذوا من هذا مثلما تأذت مايا، صبرا لك و لا تنسي وعدك لي أنتظر منك ليل يدير شركتي عكس الآخر الذي ضيعها، و أنت يا ندى أعرف أن ضميرك يؤنبك لماذا لم تكلميني و إن كنت سامحتك أم لا، نعم لقد سامحتك لأني لم أستطع الغضب منك يوما، لازلت أتذكر تلك اللحظات اللطيفة عندما كنت صغيرة، و

لن أنساك يا ليل أنت عزيزي الصغير الذي طالما تمنيته وريث مملكتي التي أسستها ولكن أعرف أنك إخترت طموحك و أنا لم أعارضك، إعتني بأختك و لا تنسى أن لديك أخت مثلما نسيت أن لديك أب.. و الآن وداعا لا تنسوني في دعائكم "

هذه الكلمات فتحت جروح و تركت فراغ داخلي... و حتى تلك الدموع لن تنفع الآن بعدما فقدنا عمي أحمد.. الله يرحمه ويجعل مأواه الجنة.

_ ليل: أنا أستأذن منكم اليوم بعد غد لدي عملية ضروية ليتني أنقذ حياة فتكون صدقة جارية لأبي، أيها المحامي قدم لمايا مفتاح البيت و سيارة أبي كذلك و إتفق معها بخصوص أوراق الشركة و تلك المعاملات.

_ ندى: أعرف أن هذا البيت صار بيتك، لكن هل يمكن أن أبقى هنا ثلاثة أيام فقط و بعدها سأذهب؟

_أكيد البيت بيتك و لن أمانع و كلما إشتقت إليه ستجدين أبوابه مفتحة لك.

_ندى: شكرا عزيزتي

إنتقلنا بعدها إلى ذلك القصر و تغيرت حياتنا للأحسن، إضطررت لترك عملي و ما تعبت في

الدراسة لأجله من أجل إدارة شركة العم و مرت السنين و الأيام و رزقني الله بسهر و ليل، كبر أمام عيني و لم أحس بالوقت معهما لأجد نفسي بعد ثلاث و عشرين سنة أمام تحقق حلمي بأن أكون طبيبة في رداء سهر، و راحة تعب التفكير في إدارة ليل للشركة.

_ سهر: أمي الغالية، هل يمكنني أن أبيت معك اليوم؟

_ لقد كبرتي و لا زلت تحبين أن تبيتي معي

_ سهر: لأنك غاليتي

_ ليل: و أين أنا؟ ليس عدل، إن سمحتي لها، سآتي أنا كذلك

_ سهر: جدتي فاطمة، أرأيت كيف يغار مني ليل؟

_ الخالة فاطمة: توقفوا من الشجارات لقد كبرتم

_ ليل: مادامت أمي معي، فأنا مازلت الصغير

_سهر: من الصغير؟

_ ليل: أرأيت يا جدة من يغار من الآخر؟

_ توقفوا لديكم غرف نوم كبيرة و تريدون النوم معي، للأسف الأكسجين الذي في غرفتي يكفيني أنا فقط، الناس تكبر أجسادهم و عقولهم، أما أنتم فتكبر أجسادكم و تصغر عقولكم.

أولادي سندي في الحياة.. حاولت إحسان تربيتهم.. ليتهم يبتعدون عن الطمع الذي غر أبيهم..

_ ليل: صباح الخير

_ صباح النور عزيزي، الهاتف يرن

_ ليل: لا تقفي أكملي فطورك سآتي لك به... إنها تلك المشاغبة

_ألو حبيبتي

_ سهر: صباح الخير ماما، أتاني رجل مريض، و ليس له عائلة هنا، هل آتي به لنضيفه عندنا أيام معدودة حتى يعود إلى موطنه

_ أكيد و لكن تأكدي من سجله أولا لا نريد أخطاء

_ سهر: حسنا أمي

لم أظن أن ما سيحدث سيغير حياتنا

_ ليل لماذا لم تذهب للعمل اليوم؟

_ليل: أخطط لنسخة جديدة و لا أريد العمل في ضغط المكتب.

_ حسنا.

_ ليل: الباب يدق

_ أكيد هذه سهر، أنا ذاهبة لأرى ضيفها

_ ليل: سآتي معك

و إذ بالخالة تفتح الباب، لتغدرني تلك الصدمة

_ جـ.. جـ.. ..

الفصل التاسع:

_جواد

_ ليل: إحذري أمي ستسقطين، من تقصدين بجواد؟ لا تقولي..

_ سهر: أمي حاذري.

_ جواد: إذا لدي ولدان و لم تخبريني ، الشاب يشبهك، أما هذه البنت فتشبهني

_ ماذا أتى بك إلى هنا؟

_جواد: مايا أنا آسف لكل ما فعلته لك، أنا أحبك، لقد تبت و أريد أن تسامحيني كي أموت مطمئن.

_ ليل: أنت يا هذا، أخرج من هنا

_ ليس من عاداتنا طرد ضيف وعدناه بإستقباله، و يبقى في الأخير أباك، سأصعد إلى الغرفة لأرتاح.

أحسست أن الجرح إنفتح.. و هذه المرة وضعت الملح عليه فكان الألم أقوى... غابت كلماتي و خانتني الأحرف للتعبير عن ذاك الشعور داخلي بعد أن كدت أنسى وجعي... ولكن الله تعالى أمرنا أن لا نكره شيئا و هو خيرا لنا.. عسى بعد العسر يسر و مرت الأيام و كل يوم كان يزيد تقرب جواد من أولاده و خاصة سهر، فقد كانت دائما تفتقد وجود الأب في حياتها، و لكن ليل صارم مثلي لا نتنازل لأحد..

_سهر: ماما أريد أن أكلمك أنت و ليل على إنفراد

_ حسنا

_ سهر: ماما أحس أن أبي تاب و إستسمحك على خطئه، و الله غفور رحيم فما بالك بالعبد للعبد، سامحيه أرجوك و هيا لنجتمع كعائلة واحدة، ما رأيك يا ليل؟

_ليل: رأيي من رأي أمي ليس قليل ما ذاقته من أجلنا

_ حسنا، سأقف معك على أن الله غفور رحيم، و أن المسامح كريم، سأسامحه و لكن سيبقى تحت مراقبتي و سيبقى هذا سرنا إلا أن أتأكد أو أؤكد لك شكي.

_ سهر: إتفقنا إذا.

بقيت أراقب جواد لأيام لأدرك أني ظني أخطأ هذه المرة، و بالفعل تعلقت به من جديد، و كبر حبه في قلبي، مع بعض الخوف من الإنكسار ثانية

_ جواد: أحبك يا مايا، أتذكرين أن اليوم عيد زواجنا؟

_ نعم، أكيد. و كالعادة أريد هديتي

_ جواد: أعرف أن أصبحت إمرأة أعمال، و لا ينقصك شيء و لكن هذه هديتي البسيطة.

_ أتذكر هذه الإسوارة، عندما صرنا أصدقاء لأول مرة

_ جواد: أتذكر حين أتيت لتواسيني، و لعبنا سويا لعبة الحرامي و الشرطي

_ و إنقلبت القصة بعد سنين إلى حقيقة

_ جواد: كنت أطاردك لأجد نفسي مطارد منك، و أعاقب بالحرمان من رؤية أبنائي يكبرون لمدة ثلاث و عشرين سنة

_ كنت تستحق ذلك العقاب

_ جواد: لقد تعلمت الدرس آنستي، و الآن سنغلق هذه السيرة لأني أكرهها

_ نعم، و أنا كذلك

_ جواد: أخبريني عن ولدي قليلا، ماهي أكلتهما المفضلة؟ الألوان؟ طريقة تفكيرهما؟

_ ليل يعشق لوني المفضل إن كنت تذكره، يحب الشكولاطة، شخصيته قوية و يعكس منصب الرئيس في أفعاله، أما سهر فهي رقيقة و حساسة تحب اللون الأزرق و البيتزا.

_ جواد: جميل، لم أخطأ عندما قلت أن الشاب يشبهك.

_ صحيح، ليل و أنا ليس في قاموسنا كلمة إستسلام

عادت علاقتي مع جواد جيدة مع الوقت، يمكن شكي فيه خطأ، و لكن لا أعرف لماذا دائما ينتابني ذلك الشعور أن هناك شيء غير عادي في القصة، قررت أن أنهي شكوكي فوضعت كاميرات في كل زاوية في البيت دون علم أحد ..

_ ليل: أنا ذاهب إلى العمل

_ سهر: خذني معك إلى المستشفى

_ إنتظرا أنا سآخذكما و أذهب لأقضي شيئا.

_ جواد: سأضطر للجلوس وحدي في البيت

_ لا لن أتأخر سآتي بعد قليل.

أوصلت كل منهما إلى عمله، و ركنت السيارة، لأفتح الكمبيوتر و أتأكد ماذا يفعل جواد، و لكن ما حدث فاجأني

_جواد: ألو، حبيبتي. أظننت أني نسيتك؟ لا أبدا إنتظرني أيام فقط، سأنتقم بطريقتي، سآخذ كل أملاكها و أرمي بها في المكان الذي تستحقه، أسكتي لحظة... يا خالة فاطمة

_ الخالة فاطمة: سأخبر مايا و الأولاد بكل شيء، ما كان عليهم الوثوق بك.

_ جواد: أنصحك أن لا تتدخلي

و إذا بالخالة تحاول النزول على الدرج لتتصل و تخبرني لكن فجأة يرميها من عليه.. لم أصدق ما تراه عيني، جواد صار بتلك الوحشية لا أبدا ليس هو كأني أرى شخصا آخر همه الوحيد الإنتقام و المال.. لكن ليس هذه المرة

_ جواد: قلت لك لا تتدخلي...ألو سهر جدتك سقطت من على الدرج لا أعرف ما أفعله معها... ستأتي مع سيارة الإسعاف، أنا أنتظرك..

لم أعرف ما أفعل أعود للبيت و أجعل الشرطة تأخذه، لكنه سيعود مرة أخرى، أنتحل شخصيتي السوداء و أقتله و أخلص العالم من شره، و لكني بعد كل هذه السنين التي تركت فيها جانبي الأسود... ماذا أفعل؟ عدت للبيت و كل ما أريده أن أرى جواد فأخنقه. و لكن كانت لدي خطة أخرى..

_ ألو، جواد أين أنتم لم أجد أحدا في البيت إلا بقع الدم هذه؟

كنت أريد قتله لا سؤاله و لكن تمثيلي بتصديقي لحكايته كان جزءا من الخطة

_ جواد: الخالة فاطمة سقطت عن الدرج

_ ماذا؟ أنا آتية

والله يا خالة بكل قطرة دم سقطت منك سأجعله يذوق كل ما ذقتيه و أكثر، وصلت إلى المستشفى كنت أدعوا الله أن ينقذ الخالة فليس لها أحد غيرنا و لكن شاءت الأقدار أن تفارقنا، أحسست أني فقدت أمي للمرة الثانية، لكني لن أسكت هذه المرة، و سأتعامل بذكاء تام، قمنا بجنازة الخالة بعد أن ودعناها، آه يا خالة أنت ضحية الغدر و الخيانة الموجهة لي أنا، ليته يعود الزمن و أكون مكانك...

و مرت ثلاث أيام، أكاد أتحمل فيها ذلك المجرم في بيتي..

_ جواد حبيبي أنا محتاجة لك، هل يمكن أن نخرج سويا لفندق قريب من هنا لأفضفض قليلا و أزيل التراكمات التي تخنقني؟

_ جواد: أكيد عزيزتي مايا، هيا إذا.

_ لقد حجزت جناح هناك، سأصعد للغرفة لأغير ملابسي بعدها سآتي..

صعدت إلى الغرفة و إتصلت بالمحامي

_ ماذا فعلت؟

_ المحامي: كل شيء جاهز

_ جيد

ذهبنا إلى الغرفة و جلسنا نشرب القهوة، لأفتح ذلك التلفاز و ينطق بكل ما جرى..

_ جواد: آ إذا أنت تعرفين بكل شيء، لا أعرف لماذا لم تقتليني للآن

_ سأفعل لكن بهدوء، أنت خائن و لا يهمك إلا المال، مع أني قدمت لك فرصتك على طبق من

ذهب لكنك لم تستغلها صح، بل و قتلت الخالة المسكينة، ما ذنبها في كل هذا؟

_ جواد: هي تدخلت في شؤوني فوجب التخلص منها

وإذ به يرفع المسدس في وجهي

_ جواد: وأنت تتدخلين كثيرا بطبعك، سأخلصك من هذه الحياة أما أولادك فهم أمانة عندي، أتعرفين أني هارب من السجن منذ زمن، و يا من عمليات الإحتيال التي قمنا بها، أنت تعرفين أمجد أكبر تاجر مخدرات أنا أعمل معه، أتعرفين لماذا أحكي لك لأنك فضولية بطبعك و أريد أن تشبعي فضولك قبل موتك، و ذلك السطو على البنك الذي أتهمت به المخترقة السوداء كنا نحن وراء و لا يزال الكثير لكن ليس عندي وقت..

_ حقا لم أكن ذلك منك، أحببتك بصدق و كدت أن أصدق أنك تغيرت و لكني عرفت اليوم أن جواد الذي أحببته مات داخلك..

إذ بالشرطة تحاصره من كل مكان، إرم السلاح، لكنه وضعني ضحية و منفذ لهروبه، لتنطلق رصاصتين ذلك اليوم...

و بعد ثلاث سنوات

_ منال: اليوم عرس أولادنا، فرح بعد تلك الأحزان التي حلت بعائلتنا

_ عبير: أنا فخورة أن جواد سيصير فردا يكمل أسرتي، صهري و زوج إبنتي

_ و أنا كذلك فخورة أن أنيس سيصير صهري، ودعيه يا منال لن تريه مجددا سيعيش معي

_ منال: لم أكن أعرف أن الإبن بعد الزواج يترك عائلته و يذهب ليعيش مع عائلة زوجه، ألم يكن العكس منذ أعوام؟

_ هذه موضة جديدة، أصمتي أحسن أنت لا تفهمين في موضة العادات

_ عبير: لن تتوقفا عن شجاركما، و كأنما بنات مراهقات

_ عن نفسي مازلت صغيرة.

_ عبير: و من سيتزوج أولاده، أظن أنه عمي علي صاحب العمارة

_ لا، أولادي

_ منال: عبير معها حق.

_ حسنا سأصمت.

بالفعل مات ذلك اليوم من كنت قد قدمت له قلبي.. فخلق في موطن مشاعري فراغ كبير لا يملأه الزمن مثلما قال البعض.. أدركت أن من قال أن النسيان علاج الجروح قد كانت تلك أكبر كذبة له لدرجة أنه صدقها الجميع.. أحببته و لن أنساه.. قلت ذات يوم أني سأصبح كل شيء.. و بالفعل و لكن أحس أني لا شيء بهذا الحيز الأسود داخلي.. نفس الحيز الغامض الذي يمنحني القوة تارة... و يلعنني بالحزن و الألم دون كلام تارة أخرى.. و كل ما يجعل الدمار لا يتوقف داخلي لعنة الصمت تلك...

_ منال و عبير أولادنا بشهر العسل و نحن ماذا نفعل معهم؟

_ منال: نحن حموات تذهب مع زوجات أبنائها أينما ذهبوا

_ عبير: هذه السنين التي مرت كانت صعبة علينا جدا، أتتذكرين جواد؟

_ و كيف لي أن أنسى من كسرني!، في الأخير عندما تأكد أن لا مهرب قتل نفسه بعد أن كاد ليل يقتله

الحمد لله أن رصاصته ضربت في الهواء و إلا كان سيصبح مجرم مثله، الله يحفظه إبني العزيز و يرحم أباه و يغفر له.

_ منال: لا زلت تدعين له بالرحمة و المغفرة بعد كل ما فعله معك.

_ و يبقى مالك قلبي و أبا أولادي

_ عبير: لا يهمنا، سمعت أن تلك المنطقة جميلة جدا

_ هيا لنذهب إليها

_ منال: لا أنصحكما سمعت بل متأكدة أنهم ملحدين لا دين لهم، يحتقرون المسلمين بل و حتى يقتلونهم، كما أنه لم يسمع أبدا صوت الآذان في تلك المنطقة، و في الكثير من المرات يشغلون الأغاني بصوت صاخب جدا لمضايقة المسلمين الموجدين هنا

_ قلت لهم بتلك الإبتسامة التي إشتقت لها: جيد جداً

_عبير: لا تفكري حتى

_ لكني فكرت في الموضوع بالفعل، إشتقت لك يا أسود أنا آتية.

_ منال: و ماذا ستفعلين يا جدتي؟ أنسيت أنك كبرت عن أفعالك الصبيانية؟

_ لا تخافي لن أخاطر بجسدي أعرف أني كبرت، لكن أين حاسوبي؟

_ عبير: فهمت سآتي لك به إنه في السيارة

و ماهي إلا دقائق حتى قمت بضربتي

_ سهر: ماما أسمعت ما حدث كل الناس هنا متفاجئون، صوت الآذان العالي و من المنطقة المشهورة بسوئها!!

_ ليل: قيل لي أنهم حاولوا إيقافه لكنهم لم يستطيعوا و هذا الشي لم يحدث إلا مرة قبل ستة و عشرين سنة، ألم تكوني مقيمة في هذه المدينة قبل هذا الوقت يا أمي؟

_ مريم: خالتي مايا لا تقولي أنك..!

_ تشكون في أتمزحون

لتنطلق الضحكات منا

_ عبير: مايا نفسها، لم أكن أتوقع منكم هذا..

_ منال: أنا أتخيل مايا تضرب شاب، مستحيل

_ سهر: أكيد لا، أمي لطيفة لا تستطيع قتل نملة.

_ منال: إذهبوا و إستمتعوا بوقتكم يا جيل اليوم

_ مريم: حسنا يا خالة.

_ عبير: إلى متى سنخفي الأمر؟

_ منال: صحيح، كدت أن أخبرهم.

_لا أنصحكم بالبوح، لإنه سر أسود يملؤه الغموض، ظهوره عاصفة رماد سوداء مدمرة، لذلك الصمت أحسن.

الأسود عشقي من صغري.. عاش معي لحظات قوتي و حزني... كان دائما سندي.. كشف لي سره وسط إنكساري.. فزودني بجرعات شخصيتي.. نفسها تلك التي يهاب منها الكثير.. الأسود ليس لون فقط هو رفيقي و قريني منذ بدايتي في مشوار حياتي.. فقد ولدت مكتوب على جبيني حبه و سيموت معي لغزه.. و أما سره فسيبقى موسوما في موطني الذي أحبه... و بخطوط الرماد كتبه..

تم بحمد الله